

مجلــــة العلـــــوم التربـــــوية والدراســـات الإنســـانيـــة
ISSN: 2709-0302 (online)



Humanities and Educational Sciences Journal
ISSN: 2617-5908 (print)

مراتب التقدير في القرآن الكريم(*)

د/ عبدالعزيز بن جمال النعيم
الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الملك فيصل - السعودية

*) تاريخ تسليم البحث 8/12/2023 تاريخ قبوله للنشر 8/3/2024
*) موقع المجلة: http://hesj.org/ojs/index.php/hesj/index

مراتب التقدير في القرآن الكريم

د/ عبدالعزيز بن جمال النعيم
الأستاذ المساعد، بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة الملك فيصل – السعودية

الملخص

يتناول البحث: التقدير في القرآن الكريم، ويهدف إلى بيان مراتب التقدير الخمس، وأدلتها من الكتاب والسنة، وما فيها من المعاني البديعة، ويعزز الإيمان بالقدر في هذا العصر، الذي راجت فيه شبهات القدرية، على أيدي الملحدين وأعداء الدين، ويرد على تساؤلات الشباب المعاصر عن مسائل القدر، المنتشرة على وسائل التواصل بكثرة، وإثبات تقدير الله تعالى لكل ما هو كائنٌ إلى قيام الساعة، وقد ختمت بحثي بعدد من النتائج توصلت إليها، ومن أهمها: أنَّ مراتب التقدير خمس، وهي: التقدير الأزلي، والتقدير البشري، والتقدير العمري، والتقدير السنوي، والتقدير اليومي، وأنَّ نسخ التقدير؛ وتكراره حسب مراتبه ومراحله المختلفة؛ وتفنيد شبهات القدرية، القائلين بإنكار التقدير، وهم مجوس هذه الأمة، ولا عبرة بقولهم، ومن التوصيات التي أوصي بها: تخصيص موضوع القدر والتقدير بالمزيد من الدراسات والأبحاث العلمية؛ وذلك لكثرة انتشار وترويج الشبهات حوله في واقعنا المعاصر، والتصدي لتساؤلات الشباب المعاصر عن مسائل القدر المنتشرة على وسائل التواصل الاجتماعي بكثرة، والرد عليها بموضوعية، وحجج علمية وعقلية.

الكلمات المفتاحية: مراتب، التقدير، القرآن، الكريم.

Levels of Qadar in the Holy Quran

Dr. Abdulaziz bin Jamal Al-alnaim
Assistant Professor, Department of Islamic Studies
College of Sharia and Islamic Studies
King Faisal University - Saudi Arabia

Abstract

This research addresses the decree matter in the Holy Quran, aiming to elucidate the five stages of the decree and provide their evidences from the Holy Quran and Sunnah, as well as explore their profound meanings. It also seeks to strengthen faith in predestination in this era, which is plagued by doubts about fatalism raised by atheists and enemies of Islam. Additionally, it responds to contemporary youth's inquiries about predestination issues that are widely spread through the media and it proves Allah's divine decree for all beings until the Day of Judgment. I concluded my research with several significant findings; most importantly, the existence of five stages of decree: eternal decree, the decree following the creation of Adam, lifetime decree, annual decree, and daily decree, the decree is copied and reiterated according to its different stages, and stages, and the refutation of the doubts about fatalism raised by those who deny decree and they are the magi of this nation and their sayings hold no weight. As for my recommendations, they include: dedicating more studies and scientific research to the topic of predestination and the decree due to the proliferation of and spreading doubts towards them in our present-day reality, addressing contemporary youth's inquiries about predestination issues that are widely spread through social media and responding to them objectivity with scientific and rational arguments.

Keywords: Stages, Decree, Holy Quran.

مقدمة:

الحمد لله الذي كان بعبادهِ خبيراً، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، فلا نعلمُ له شريكاً؛ ولا شبيهاً؛ ولا نظيراً، والصلاة والسلام على من بعثه اللهُ هادياً ونذيراً، وداعياً إليه بإذنهِ وسراجاً منيراً، وعلى آلهِ؛ وصحبهِ؛ وتابعيه؛ تعزيراً وتوقيراً، أما بعد:

فإن الله تعالى قد خلق المخلوقات كافة وفق نظام محكم، وتقدير مُتقن، وإبداعٍ عجيب، تعجز الألباب عن إدراك كنهه، وتقف مذهولةً أمام عظمته ودقته، حيث أنه لا يتطرق إلى خلقه رغم عظمته واتساعه؛ أي خلل، ولا يكتنفه أي زلل، ولا يخرج عن نطاق ونظام التقدير؛ الذي وضعه له الخالق الحكيم القدير، القائل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، والقائل: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، فكل شيءٍ خُلق بقدرٍ وتقديرٍ سابقٍ، وهو التقدير الأزلي، المكتوب في اللوح المحفوظ، والذي كتب قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

ثم قام الخالق الحكيم القدير بنسخ هذا التقدير، وتنزيله على مراحل مختلفة، فأعقب التقدير الأزلي بالتقدير البشري، ثم التقدير العمري، ثم التقدير السنوي، ثم التقدير اليومي، ليتعلم الإنسان من ذلك أصول التخطيط والترتيب والتقسيم والتوقيت، وأسلوب التدرج والتأني والتريث، ليكون بذلك قادراً على عمارة الأرض، والقيام بواجب الاستخلاف الذي خلق من أجله، وكم في ذلك من الحكم والدروس؛ والتوجيهات والإرشادات؛ التي تستفاد من نظام التقدير الإلهي، ومراتبه ومراحله المختلفة، ومن أجل ذلك رأينا أهمية تسليط الضوء على هذا الموضوع الهام؛ في هذا البحث الموسوم بـ"مراتب التقدير في القرآن الكريم".

والله نسأل أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يوفقنا للعمل على مقتضى التقدير، ويهدينا للأخذ بأسباب التوفيق والتدبير، وهو على كل شيءٍ قدير، ومنه العونُ وإليه المصير.

أهمية البحث:

يَستمد البحث أهميته من ما يلي:

١- تبرز الدراسة أهمية الإيمان بالقدر، وذكر مراتبه، وأقسامه.

٢- تبين الدراسة ضعف الإيمان بالقدر في هذا العصر، وانتشار وترويج شبهات القدرية، على أيدي الملحدين وأعداء الدين.

٣- يبين الحكم والدروس؛ والتوجيهات والإرشادات؛ التي تستفاد من نظام التقدير الإلهي، ومراتبه ومراحله المختلفة.

٤- الحاجة لوجود دراسة مستقلة تفصل مراتب التقدير، وتبين ما فيها من الدلائل والمعاني البديعة، التي تدل على عظمة الخالق، وكمال حكمته.

٥- الحاجة الماسة إلى بحث مستقل يتناول هذا الموضوع الهام.

٦- إثراء المكتبة الإسلامية بالجديد من الأبحاث العلمية، لا سيما في المواضيع الشائكة، التي يعزف البعض عن بحثها؛ مثل موضوع القدر.

أسباب اختيار موضوع البحث:

١- لأهمية الموضوع الذي أشرت إليها سابقاً.

٢- عدم تسليط الضوء على هذا الموضوع من قبل الباحثين في بحث مستقل.

٣- تساؤل الشباب المعاصر عن مسائل القدر، والخوض فيها في وسائل التواصل بكثرة، مما يوجب إثبات تقدير الله تعالى لكل ما هو كائنٌ إلى قيام الساعة.

٤- عزوف بعض الباحثين عن الكتابة في موضوع القدر والتقدير؛ باعتباره من المواضيع الشائكة، أو التي لا يحبذ الخوض فيها.

٥- الرغبة في رفد المكتبة الإسلامية للتفسير وعلوم القرآن، بكل جديد من الأبحاث والدراسات المتعلقة بهذه المجالات الهامة.

أهداف البحث:

١- بيان مراتب التقدير الخمس، وأدلتها من الكتاب والسنة، وما فيها من المعاني البديعة، التي تدل على عظمة الخالق، وكمال حكمته.

٢- تعزيز الإيمان بالقدر في هذا العصر، الذي راجت فيه شبهات القدرية، على أيدي الملحدين وأعداء الدين.

٣- الرد على تساؤلات الشباب المعاصر عن مسائل القدر، المنتشرة على وسائل التواصل بكثرة، وإثبات تقدير الله تعالى لكل ما هو كائنٌ إلى قيام الساعة.

الدراسات السابقة:

بعد استقصاء البحث والدراسة لهذا الموضوع؛ لم أجد دراسة سابقة تناولت هذا الموضوع بشكل مستقل ومفصل، ووجدت بعض المصادر التي تطرقت لهذا الموضوع بشكل مجمل ومقتضب، وأهم تلك المصادر:

١- مراتب القدر، عثمان عيسى، مجلة الإصلاح، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، المجلد/العدد: مج٨، ع٤٢، الجزائر، ١٤٣٥هـ.

٢- إشكاليات في القضاء والقدر وتفنيدها في ضوء القرآن والسنة، عبد الغني حيدر فارع، مجلة الشريعة والقانون، جامعة إفريقيا العالمية - كلية الشريعة والقانون وكلية الدراسات الإسلامية، المجلد/العدد: ع٢٤، السودان، ١٤٣٥هـ.

٣- القضاء والقدر في ضوء العقيدة الإسلامية، د. محمد عبدالله محمد العتيبي، بحث محكم في مجلة الدراسات الإسلامية والبحوث الأكاديمية جامعة الكويت، العدد (٧١).

٤- ضوابط لفهم عقيدة الإيمان بالقضاء والقدر في ضوء القرآن والسنة (دراسة تحليلية)، أ. م. د. محمد إدريس ميرغني خلف الله، كلية الآداب جامعة سنار، السودان، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية/جامعة بابل، العدد ٤١، ٢٠١٨م.

منهج البحث:

المنهج المتبع في البحث هو (المنهج الاستقرائي التحليلي).

وسأتبع في كتابتي لهذا البحث الخطوات التالية:

١- كتابة الآيات القرآنية بالرسم العثماني، وعزوها بذكر اسم السورة ورقم الآية في المتن.

٢- عزو الأحاديث والآثار إلى مصادرها.

٣- تخريج الأحاديث الواردة، فإن كانت في الصحيحين؛ اكتفيت بورودها فيهما أو في أحدهما، وإن لم تكن في أحدهما؛ ذكرتها والحكم.

٤- توثق النصوص المنقولة من مصادرها.

٥- توثيق القراءات من مصادرها المعتمدة، مع نسبتها لأصحابها.

٦- ذكر النتائج والتوصيات في الخاتمة.

٧- ختم البحث بالفهارس المهمة مرتبة.

هيكل البحث:

تتكون خطة هذا البحث من مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة، والمصادر.

المقدمة: وتشتمل على: أهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومنهج البحث، وهيكل البحث.

المبحث الأول: التعريف بمراتب التقدير. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمراتب التقدير.

المطلب الثاني: تقسيم مراتب التقدير.

المبحث الثاني: التقدير الأزلي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة التقدير الأزلي من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أدلة التقدير الأزلي من السنة النبوية.

المبحث الثالث: التقدير البشري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقدير الاستخلاف البشري.

المطلب الثاني: تقدير العهد والميثاق على جميع البشر.

المبحث الرابع: التقدير العمري، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة التقدير العمري من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أدلة التقدير العمري من السنة النبوية.

المبحث الخامس: التقدير السنوي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة التقدير السنوي من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أدلة التقدير السنوي من السنة النبوية.

المبحث السادس: التقدير اليومي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة التقدير اليومي من القرآن الكريم.

المطلب الثاني: أدلة التقدير اليومي من السنة النبوية.

الخاتمة: وفيها أهم النتائج، وأبرز التوصيات التي أخلص إليها في هذا البحث.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: التعريف بمراتب التقدير، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي لمراتب التقدير:

أولاً: تعريف المراتب:

المراتِب والرُّتَب؛ وهي جمع رُتْبَة، وهي المنزلة، والدرجة، وفي اللغة: الرَّتَبُ: من رَتَب الشيء، إذا انتصب واستقر، والرَّتَب: ثنيّة بعد ثنيّة، ودرجة بعد درجة. قال الحطيئة:

يَجْتاز أَجْوَازَ عُوجٍ من مَناكِبِها ... يأْوِي إِليها ويَمْشِي دُونَها رَتَباً

والرتبةُ: المنزلة. ومَا فِي عَيْشِهِ رَتَبٌ، إذا كان مستقيماً.

وهو في قول ذي الرمة: "مَا فِي عَيْشِهِ رَتَبٌ"، والرَّتَبُ: ما أشرف من الأرض كالدرج، تقول: رَتَبَةٌ وَرَتَبٌ، كَقَوْلِكَ دَرَجَةٌ وَدَرَجٌ، والرُّتَبُ: جمع رُتْبَة: وهي المرقاة[١].

ثانياً: تعريف التقدير في اللغة:

التقدير مصدر الفعل (قَدَّرَ)، يقال: قَدَّره الله تقديراً، كما قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، أي: قضاه قضاءً بالغاً به منتهى التمام؛ فيقع وفق ما قضاه.

قال الخليل: "قَدَّرَ: القَدَرُ: القضاء الموفق، يقال: قَدَّره الله تقديراً. وإذا وافق الشيء شيئاً قيل: جاء على قَدَرِه. والقَدَرِيّة: قوم يكذبون بالقَدرِ. والأشياء مقادير، أي: لكل شيء مقدار وأجل"[٢].

فـ(قَدَرَ) الْقَافُ وَالدَّالُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، يَدُلُّ عَلَى مَبْلَغِ الشَّيْءِ وَكُنْهِهِ وَنِهَايَتِهِ.

فَالْقَدْرُ: مَبْلَغُ كُلِّ شَيْءٍ. يُقَالُ: قَدْرُهُ كَذَا، أَيْ مَبْلَغُهُ، وَكَذَلِكَ الْقَدَرُ، وَقَدَرْتُ الشَّيْءَ؛ أَقْدِرُهُ وَأَقْدُرُهُ؛ مِنَ التَّقْدِيرِ، وَقَدَّرْتُهُ أُقَدِّرُهُ، وَبَابُهُ: ضَرَبَ، وَنَصَرَ، وَالْقَدْرُ: قَضَاءُ اللَّهِ تَعَالَى الْأَشْيَاءَ عَلَى مَبَالِغِهَا وَنِهَايَاتِهَا الَّتِي أَرَادَهَا لَهَا، وَهُوَ الْقَدَرُ أَيْضًا[٣].

وللعلماء في تعريف التقدير اصطلاحاً عدة أقوال؛ تتباين في عباراتها، وتتفق في معناها:

يقول الطبري: "﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، فسوّى كل ما خلق، وهيأه لما يصلح له، فلا خلل فيه ولا تفاوت"[٤].

ويقول الزجّاج: "﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾، خلقه الله، وقدر له ما يُصْلحه ويقيمُه، وقَدَّرَ جميع ذلك لخلقه بحكمة وتقديرٍ"[٥].

ويقول الأزهري: "تَقْدِير الله الخَلْق: تيسيره كلاًّ مِنْهُم لما علم أَنَّهم صائرون إِلَيْهِ من سَعادة أَوْ شَقاوة كُتبتْ لَهُم، وَذَلِكَ أَنه علم ذَلِك مِنْهُم قبلَ خَلْقِه إيّاهم، فَكتب عِلْمَه الأزَليَّ السَّابِق فيهم، وقدَّره تَقْديراً"[٦].

ويقول أبو الليث السمرقندي: "﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾، يعني: بَيَّنَ الصلاحَ في كل شيء، وجعله مقدراً معلوماً"[٧].

---

(١) ينظر: أبو عمرو الشيباني، الجيم، (١/٢٩٢، ٢٩٧)، ابن فارس، مقاييس اللغة، (٢/٤٨٦).

(٢) ينظر: الخليل بن أحمد، العين، (٥/١١٢).

(٣) ينظر: ابن فارس، مقاييس اللغة، (٥/٦٢)، زين الدين الرازي، مختار الصحاح، (ص: ٢٤٨).

(٤) الطبري، جامع البيان، (١٩/٢٣٦).

(٥) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٤/٥٧).

(٦) الأزهري، تهذيب اللغة، (٩/٤٢).

(٧) السمرقندي، بحر العلوم، (٢/٥٢٨).

ويقول الواحدي: "قال المفسرون: قدر له تقديرا من الأجل والرزق، فجرت المقادير على ما خلق"(١).

ويقول الراغب الأصفهاني: "تَقْدِيرُ الله الأشياء على وجهين: أحدهما: بإعطاء القدرة. والثاني: بأن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة"(٢).

ويقول ابن عطية: "تقدير الأشياء: هو حدها بالأمكنة والأزمان؛ والمقادير والمصلحة والإتقان"(٣).

ويقول الفخر الرازي: "تقدير الله عبارة عن علمه بالأشياء؛ ومشيئة لتخصيص كل شيء بمقداره المعين"(٤).

ويقول القرطبي: "﴿فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾، أي: قدر كل شيء مما خلق بحكمته على ما أراد، لا عن سهوة وغفلة، بل جرت المقادير على ما خلق الله إلى يوم القيامة"(٥).

ويقول المناوي: التقدير: تحديد كل مخلوق بحده الذي يوجد؛ من حسن وقبح؛ ونفع وضر؛ وغيرهما(٦).

المطلب الثاني: تقسيم مراتب التقدير:

تنقسم مراتب التقدير إلى خمس مراتب، وهي مستنبطة من أدلة الكتاب والسنة، وذلك حسب أنواع التقدير الواردة فيهما، وهي كالتالي(٧):

- الأول: التقدير الأزلي: وهو التقدير الشامل لجميع المخلوقات، بمعنى أن الله علمها، وكتبها في اللوح المحفوظ، وشاءها، وخلقها، ومن اللوح المحفوظ تنسخ سائر التقديرات، وقد دلت على هذا التقدير الأزلي أدلة كثيرة كما سيأتي، منها: قوله تعالى: ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾ [الحديد: ٢٢]، وحديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء". رواه مسلم(٨).
- الثاني: التقدير البشري: وهو التقدير الذي وقع عند خلق أبي البشر آدم عليه السلام، ثم بعد خلقه؛ حينما أخذ الله تعالى الميثاق على الخلق، فأخذهم من ظهر أبيهم آدم، وأشهدهم على أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذا غافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. وهو منسوخ من التقدير الأول، الذي كتب في اللوح المحفوظ.
- الثالث: التقدير العمري: وهو تقدير كل ما يجري على العبد من حين نفخ الروح فيه؛ إلى نهاية أجله، والمراد به رزق العبد وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته، ودليله ما ورد في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود، قال حدثنا

(١) للواحدي، التفسير الوسيط، (٣/٣٣٣).

(٢) الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، (ص: ٦٥٨).

(٣) ابن عطيه، محرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، (٤/١٩٩).

(٤) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٤/٢٠٦).

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٣/٣).

(٦) المناوي، التوقيف على مهمات التعاريف، (ص: ١٠٥).

(٧) ينظر: ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ص: ٦-٢٣)، لحافظ الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، (ص: ٨٤)، أبو فيصل البدراني، شفاء الضرر بفهم التوكل والقضاء والقدر، (ص: ١-٢)، عبد الرزاق البدر، تذكرة المؤتسي شرح عقيدة الحافظ عبد الغني المقدسي، (ص: ٢٥١)، عبد العزيز السلمان، مختصر الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية، (ص: ١٢٢-١٢٣).

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٤)، الحديث رقم ١٦ - (٢٦٥٣)، عن عبد الله بن عمرو.

رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: "إنَّ أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه، أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد"(١).

- الرابع: التقدير السنوي: وهو تقدير كل ما يجري في كل سنة، وذلك في ليلة القدر من كل سنة، ودليله قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

وأخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق، وقد وقع اسمه في الموتى، ثم قرأ ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة، إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤]، يعني ليلة القدر، ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل»(٢).

وهذا التقدير كذلك منسوخ من التقدير الأول، الذي كتب في اللوح المحفوظ.

- الخامس: التقدير اليومي: وهو متعلق بالأقدار المقدرة في كل يوم، وهو منسوخ من التقدير السنوي؛ الذي نسخ من التقدير الأول؛ الذي كتب في اللوح المحفوظ، ودليله قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. وروى الطبراني، والحاكم، عن ابن عباس، قال: "إنَّ مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرض ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستون نظرة أو مرة، ففي كل نظرة منها يخلق ويحيي ويميت ويعز ويفعل ما يشاء. فذلك قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾"(٣). وسيأتي تفصيل أدلة كل تقدير؛ في مبحث مستقل.

المبحث الثاني: التقدير الأزلي، وفيه مطلبان:

يعتبر التقدير الأزلي كما قدمنا التقدير الشامل لجميع المخلوقات، فإن الله تعالى قد علم أزلاً كل ما هو كائن، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ، وشاء وقوعه حسب تقديره، وخلق كل ذلك، ومن هذا التقدير المكتوب في اللوح المحفوظ تنسخ سائر التقديرات، وقد دلت على هذا التقدير الأزلي أدلة كثيرة من الكتاب والسنة، وهي كالتالي:

المطلب الأول: أدلة التقدير الأزلي من القرآن الكريم.

لقد دلت الكثير من الآيات القرآنية على إثبات التقدير الأزلي، الذي كتب الله تعالى فيه مقادير كل شيء، وأثبتها في أم الكتاب؛ وهو اللوح المحفوظ، قبل خلق السماوات والأرض، وهو أصل التقدير، ومنه نسخت أقدار كل شيء، على حسب مراحل التقدير الأخرى، ومن الآيات الدالة على إثبات التقدير الأزلي:

١- قوله تعالى: ﴿مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها إِنَّ ذلِكَ عَلَى

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١١/٤)، الحديث رقم (٣٢٠٨)، مسلم في صحيحه (٢٠٣٦/٤)، الحديث رقم ١- (٢٦٤٣)، عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٨٧/٢)، رقم (٣٦٧٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في "التلخيص": (٣٦٧٨): "صحيح على شرط مسلم".

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٦٠/١٠)، رقم (١٠٦٠٥)، والحاكم في المستدرك (٥١٦/٢)، رقم (٣٧٧١)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وقال الذهبي في "التلخيص"، (٣٧٧١): "اسم أبي حمزة ثابت، وهو واهٍ بمرة". وقد تابع أبا حمزة الثمالي على هذه الرواية بكير بن شهاب عند الطبراني، وقد وثق، فسند الطبراني جيد، قال عنه الهيثمي في "مجمع الزوائد"، (١٩١/٧): "رواه الطبراني من طريقين، ورجال هذه ثقات".

اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهذه الآية تدل على أن كل ما أصاب في الأرض والأنفس فهو مكتوبٌ في كتابٍ من قبل خلق الخليقة؛ أي: مكتوبٌ في أم الكتاب؛ وهو اللوح المحفوظ، وبهذا قال أهل التفسير في تفسير الآية.

يقول مقاتل: ﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾، من قحط المطر، وقلة النبات، ونقص الثمار، ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾، يقول: ما أصاب هذه النفس من البلاء، وإقامة الحدود عليها، ﴿إِلَّا فِي كِتابٍ﴾، مكتوب؛ يعني اللوح المحفوظ"(١).

ويقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ما أصابكم أيها الناس ﴿مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾ بجدوبها وقحوطها، وذهاب زرعها وفسادها، ﴿وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ بالأوصاب والأوجاع والأسقام، ﴿إِلا فِي كِتَابٍ﴾، يعني: إلا في أمّ الكتاب، ﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، يقول: من قبل أن نبرأ الأنفس، يعني: من قبل أن نخلقها"(٢).

ويقول الزجَّاج: "﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا﴾، أي: مِنْ قَبل أن نَخْلقَهَا، فما وقع في الأرض من جَدْبٍ أوْ نَقْصٍ؛ وكذلك ما وقع في النفوس من مرضٍ وموتٍ؛ أو خسْرانٍ في تجارةٍ؛ أو كسبِ خيرٍ أو شَرٍّ؛ فمكتوبٌ عند الله معلومٌ"(٣).

ويقول مكي بن أبي طالب: "﴿إِلَّا فِي كِتابٍ﴾، يعني أم الكتاب. من قبل أن نبرأ الأنفس، أي: نخلقها. قال ابن عباس هو شيء قد فرغ عنه، من قبل أن تخلق الأنفس"(٤).

ويقول ابن عطية: "قوله تعالى: ﴿إِلَّا فِي كِتابٍ﴾ معناه: إلا والمصيبة في كتاب. و﴿نَبْرَأَها﴾ معناه: نخلقها، يقال: برأ الله الخلق: أي خلقهم، والضمير عائد على المصيبة، وقيل: على الْأَرْضِ، وقيل: على الأنفس، قاله ابن عباس، وقتادة، وجماعة، وذكر المهدوي جواز عود الضمير على جميع ما ذكر، وهي كلها معانٍ صحاح، لأن الكتاب السابق أزلي؛ قبل هذه كلها"(٥).

ويقول الرازي: "هذه الآية دالة على أن جميع الحوادث الأرضية قبل دخولها في الوجود مكتوبة في اللوح المحفوظ. قال المتكلمون: وإنما كتب كل ذلك لوجوه: أحدها: تستدل الملائكة بذلك المكتوب على كونه سبحانه وتعالى عالما بجميع الأشياء قبل وقوعها، وثانيها: ليعرفوا حكمة الله فإنه تعالى مع علمه بأنهم يقدمون على تلك المعاصي خلقهم ورزقهم، وثالثها: ليحذروا من أمثال تلك المعاصي.

ورابعها: ليشكروا الله تعالى على توفيقه إياهم على الطاعات وعصمته إياهم من المعاصي. واستدل جمهور أهل التوحيد بهذه الآية على أنه تعالى عالم بالأشياء قبل وقوعها خلافا لهشام بن الحكم، ووجه الاستدلال أنه تعالى لما كتبها في الكتاب قبل وقوعها وجاءت مطابقة لذلك الكتاب؛ علمنا أنه تعالى عالمٌ بها بأسرها"(٦).

ويقول ابن جُزَي: "﴿ما أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَها﴾، المعنى: أن الأمور كلها مقدرة مكتوبة في اللوح المحفوظ؛ من قبل أن تكون، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله كتب مقادير الأشياء قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»"(٧).

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، (٤/٢٤٤).
(٢) الطبري، جامع البيان، (٢٣/١٩٥).
(٣) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٥/١٢٨).
(٤) ابن مكي، الهداية الى بلوغ النهاية، (١١/٧٣٢٨).
(٥) ابن عطية، المحرر الوجيز، (٥/٢٦٨).
(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، (٢٩/٤٦٧).
(٧) ابن جُزَي، التسهيل لعلوم التنزيل، (٢/٣٤٨).

ويقول ابن كثير: "يخبر تعالى عن قدره السابق في خلقه، قبل أن يبرأ البرية، فقال: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم﴾ أي: في الآفاق وفي نفوسكم، ﴿إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾، أي: من قبل أن نخلق الخليقة، ونبرأ النسمة. وهذه الآية الكريمة من أدل دليل على القدرية؛ نفاة العلم السابق"(١).

٢- قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج:٧٠]، وهذه الآية دالة على أن علم الله تعالى قد سبق بكل ما هو كائنٌ في السماوات والأرض، وأنَّ ذلك في كتاب؛ وهو اللوح المحفوظ، الذي يحتوي على التقدير الأزلي، وبهذا قال أهل التفسير في معنى هذه الآية.

يقول الطبري: "يقول تعالى ذكره: ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كلّ ما في السموات السبع والأرضين السبع، لا يخفى عليه من ذلك شيء، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا، فمجازي المحسن منهم بإحسانه والمسيء بإساءته، ﴿إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ﴾، إن علمه بذلك في كتاب، وهو أم الكتاب، الذي كتب فيه ربنا جلّ ثناؤه قبل أن يخلق خلقه ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة"(٢).

ويقول السمرقندي: "قال عز وجل: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ﴾ يا محمد، ﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ ما فِي السَّماءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذلِكَ فِي كِتابٍ﴾، يعني: إن ذلك العلم مكتوب في اللوح المحفوظ"(٣).

ويقول الواحدي: "﴿إن ذلك في كتاب﴾ [الحج: ٧٠] يعني: ما يجري في السماء والأرض، كل ذلك مكتوب في اللوح المحفوظ، ﴿إن ذلك﴾؛ إن علمه بجميع ذلك، ﴿على الله يسير﴾ سهل لا يتعذر عليه العلم به"(٤).

ويقول الزمخشري في تفسير الآية: "ومعلوم عند العلماء بالله أنه يعلم كل ما يحدث في السماوات والأرض، وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه. والإحاطة بذلك وإثباته وحفظه عليه يَسِيرٌ"(٥).

ويقول ابن عطية: "لما أخبر تعالى في الآية قبلها أنه يحكم بين الناس يوم القيامة فيما اختلفوا فيه أتبع ذلك الخبر بأن عنده علم كل شيء ليقع الحكم في معلوم، فخرجت العبارة على طريق التنبيه على علم الله تعالى وإحاطته وإِنَّ ذلِكَ كله فِي كِتابٍ وهو اللوح المحفوظ"(٦).

ويقول ابن كثير: "يخبر تعالى عن كمال علمه بخلقه، وأنه محيط بما في السموات وما في الأرض، فلا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وأنه تعالى علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في كتابه اللوح المحفوظ.

وقال ابن أبي حاتم: قال ابن عباس: خلق الله اللوح المحفوظ مسيرة مائة عام، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق -وهو على العرش تبارك وتعالى-: اكتب. قال القلم: وما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى يوم تقوم الساعة. فجرى القلم بما هو كائن في علم الله إلى يوم القيامة. فذلك قوله تعالى للنبي صلى الله عليه وسلم: ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض﴾.

وهذا من تمام علمه تعالى أنه علم الأشياء قبل كونها، وقدرها وكتبها أيضا، فما العباد عاملون قد علمه تعالى قبل ذلك، على الوجه الذي يفعلونه، فيعلم قبل الخلق أن هذا يطيع باختياره، وهذا يعصي باختياره، وكتب ذلك

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٢٦/٨).
(٢) الطبري، جامع البيان، (٦٨١/١٨).
(٣) السمرقندي، بحر العلوم، (٤٦٩/٢).
(٤) الواحدي، التفسير الوسيط، (٢٧٩/٣).
(٥) الزمخشري، الكشاف، (١٧٠/٣).
(٦) ابن عطيه، المحرر الوجيز، (١٣٢/٤).

عنده، وأحاط بكل شيء علما، وهو سهل عليه، يسير لديه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إن ذلك في كتاب إن ذلك على الله يسير﴾"(١).

٣- قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، والآية تدل على أن كل ما هو كائن فقد أحصي ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾؛ وهو اللوح المحفوظ، لأنه أصل الكتب ومقتداها، وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد بن أسلم، وجمهور المفسرين.

يقول يحيى بن سلام: "قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]، أي: في كتاب، ﴿مُبِينٍ﴾ بَيِّن، يعني: اللوح المحفوظ، وهو تفسير السدي.

وعن ابن عباس، قال: «أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب فقال: رب ما أكتب؟ قال: ما هو كائن، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، فأعمال العباد تعرض في كل يوم اثنين وخميس، فيجدونه على ما في الكتاب»"(٢).

ويقول الطبري: "قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ يقول تعالى ذكره: وكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أم الكتاب، وهو الإمام المبين"(٣).

ويقول السمرقندي، والثعلبي، والواحدي، والبغوي، والسمعاني: "﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ﴾، أي: حفظناه وعدّدناه وبيَّناه، في ﴿إِمامٍ مُبِينٍ﴾، يعني: في اللوح المحفوظ"(٤).

ويقول مكي بن أبي طالب: "﴿وَكُلَّ شيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ في إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ أي: ما كان وما هو كائن أثبتناه في أم الكتاب. ومعنى ﴿مُّبِينٍ﴾ أي: بَيّنٍ عن حقيقة ما أثبت فيه، وهو اللوح المحفوظ. قاله مجاهد، وقتادة، وابن زيد"(٥).

ويقول ابن عطية، والقرطبي، والشوكاني: "قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ﴾؛ نصب بفعل مضمر، يدل عليه ﴿أَحْصَيْناهُ﴾، كأنه قال: وأحصينا كل شيء أحصيناه، و«الإمام» الكتاب المقتدى به، الذي هو حجة، قال مجاهد وقتادة وابن زيد: أراد اللوح المحفوظ، وقالت فرقة: أراد صحف الأعمال"(٦).

ويقول النسفي: "﴿وَكُلَّ شيْءٍ أحصيناه﴾؛ عددناه وبيناه، ﴿فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾؛ يعني اللوح المحفوظ، لأنه أصل الكتب ومقتداها"(٧).

ويقول ابن كثير: "قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ أي: جميع الكائنات مكتوب في كتاب مسطور مضبوط، في لوح محفوظ، والإمام المبين هاهنا هو أم الكتاب. قاله مجاهد، وقتادة، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم"(٨).

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٥٢/٥).
(٢) تفسير يحيى بن سلام، (٨٠٣/٢).
(٣) الطبري، جامع البيان، (٤٩٩/٢٠).
(٤) السمرقندي، بحر العلوم، (١١٧/٣)، الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (١٢٣/٨)، الواحدي، التفسير الوسيط، (٥١١/٣)، البغوي، معالم التنزيل، (٨/٤)، تفسير السمعاني، (٣٧٠/٤).
(٥) مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، (٦٠١٢/٩).
(٦) ابن عطيه، المحرر الوجيز، (٤٤٨/٤)، القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (١٣/١٥)، الشوكاني، فتح القدير، (٤١٥/٤).
(٧) النسفي، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، (٩٨/٣).
(٨) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٦٨/٦).

٤- قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا﴾ [النبأ: ٢٩]، وهذه الآية كسابقتها تدل على أن كل ما هو كائن فقد أحصي في كتاب؛ وهو اللوح المحفوظ، وهو قول جمهور المفسرين.

يقول أبو الليث السمرقندي: "قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً﴾، يعني: أثبتناه في اللوح المحفوظ"(١).

ويقول الواحدي، والسمعاني، والبغوي: "﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ كِتاباً﴾ [النبأ: ٢٩] أي: وكل شيء من الأعمال بيناه في اللوح المحفوظ، كقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: ١٢]" (٢).

ويقول الشوكاني: "قيل: المراد كتبناه في اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة، وقيل: أراد ما كتبه الحفظة على العباد من أعمالهم، وقيل: المراد به العلم؛ لأن ما كتب كان أبعد من النسيان، والأول أولى؛ لقوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾"(٣).

٥- قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

والكتاب المذكور في الآية قيل: هو اللوح المحفوظ، وقيل: الكتاب الذي تكتبه الحفظة من الملائكة، لكن الاستنساخ لا يكون إلا من أصل، وهو الاستنساخ من اللوح المحفوظ، وهو قول أكثر المفسرين.

فقد روى الطبري، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾، قال: "هو أمّ الكتاب، فيه أعمال بني آدم، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قال: الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم"(٤).

ويقول أبو الليث السمرقندي: "قوله تعالى: ﴿هذا كِتابُنا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ﴾، يعني: هذا الذي كتب عليكم الحفظة، ﴿يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾، يعني: يشهد عليكم بالحق، ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ ما كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، يعني: نستنسخ عملكم من اللوح المحفوظ.

عن ابن عمر عن النبي صلّى الله عليه وسلم أنه قال: «أول ما خَلَقَ الله القَلَمَ، فَكَتَبَ ما يكون في الدنيا مِنْ عَمَلٍ مَعْمُولٍ، براً وفاجراً، وَأحْصَاهُ فِي الذِّكْرِ، فَاقْرَؤُوا إن شِئْتُمْ: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فهَلَ يَكُونُ النّسْخُ إلاّ مِنْ شَيءٍ قَدْ فُرِغ مِنْهُ؟».

وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: ألستم قوماً عرباً، هل يكُون النَّسخ إلاَّ من أَصْل كَان قَبْل ذَلِكَ؟ وقال القتبي: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ﴾، قال: إن الحفظة يكتبون جميع ما يكون من العبد، ثم يقابلونه بما في أم الكتاب، فما فيه من ثواب أو عقاب أثبت، وما لم يكن فيه ثواب ولا عقاب محي، فذلك قوله: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشاءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]"(٥).

ويقول مكي بن أبي طالب: "قال ابن عباس: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾، هو أم الكتاب، فيه أعمال بني آدم. ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، قال: هم الملائكة يستنسخون أعمال بني آدم من اللوح المحفوظ قبل أن يَعمَلوها، ثم يقابلون بذلك أعمال بني آدم فلا يزيدون شيئاً ولا ينقصون شيئاً قد كتبه الله عز وجل ذلك قبل خلقهم وعلمه وقضاه"(٦).

(١) السمرقندي، بحر العلوم، (٥٣٩/٣).
(٢) الواحدي، التفسير الوسيط، (٤١٥/٤)، تفسير السمعاني، (١٤٠/٦)، البغوي، معالم التنزيل (٢٠٢/٥).
(٣) الشوكاني، فتح القدير، (٤٤٣/٥).
(٤) الطبري، جامع البيان، (٨٤/٢٢).
(٥) السمرقندي، بحر العلوم، (٢٨١/٣).
(٦) مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، (٦٧٩٥/١٠).

ويقول الواحدي: "أكثر المفسرين على أن هذا الاستنساخ من اللوح المحفوظ، تستنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، فيجدون ذلك موافقا لما يعملونه. قالوا: والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، هو أن يستنسخ كتاب من كتاب"(١).

وأخرج الحاكم، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "أول ما خلق الله القلم خلقه من هجا قبل الألف واللام، فتصور قلما من نور فقيل له اجر في اللوح المحفوظ قال: يا رب بماذا؟ قال: بما يكون إلى يوم القيامة، فلما خلق الله الخلق وكل بالخلق حفظة يحفظون عليهم أعمالهم، فلما قامت القيامة عرضت عليهم أعمالهم، وقيل: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ [الجاثية: ٢٩]، عرض بالكتابين فكانا سواءً"، قال ابن عباس: "ألستم عربا؟ هل تكون النسخة إلا من كتاب"(٢)؟

٦- قوله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقد دلت هذه الآية على أنَّ كل شيء خلق بقدر سابق، وهو التقدير الأزلي، المكتوب في اللوح المحفوظ، وقد نزلت الآية رداً على المشركين حين خاصموا في القدر.

يقول البغوي: "قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾، أي: ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن: قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له.

وعن أبي هريرة، قال: جاءت مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾، إلى قوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾"(٣).

ويقول الخازن: "فصل في سبب نزول الآية وما ورد في القدر وما قيل فيه: عن أبي هريرة قال: «جاء مشركو قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾، إلى قوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾. وعن طاوس قال: "أدركت ناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون: كل شيء بقدر الله تعالى، قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل شيء بقدر حتى العجز والكيس، أو الكيس والعجز»".

قال الخطابي: وقد يحسب كثير من الناس أن معنى القضاء والقدر إجبار الله تعالى العبد وقهره على ما قدره وقضاه، وليس الأمر كما يتوهمونه، وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله تعالى بما يكون من أكساب العباد، وصدورها عن تقدير منه، وخلق لها خيرها وشرها.

قال: وقد تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة وأهل العقد والحل من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى وقد قرر ذلك أئمة المتكلمين أحسن تقرير بدلائله القطعية السمعية والعقلية، والله أعلم"(٤).

ويقول ابن كثير: "قوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾، كقوله: ﴿وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ [الفرقان:٢]، وكقوله: ﴿سبح اسم ربك الأعلى. الذي خلق فسوى. والذي قدر فهدى﴾ [الأعلى: ١-٣]، أي: قدر قدرا، وهدى الخلائق إليه؛ ولهذا يستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه، وهو

---

(١) الواحدي، التفسير الوسيط، (٤/١٠٠).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٩٢)، رقم (٣٦٩٣)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وقال الذهبي في "التلخيص"، رقم (٣٦٩٣): "صحيح".

(٣) البغوي، معالم التنزيل (٤/٣٢٨).

(٤) الخازن، لباب التأويل في معاني التنزيل، (٤/٢٢٢-٢٢٣).

علمه الأشياء قبل كونها، وكتابته لها قبل برئها، وردوا بهذه الآية وبما شاكلها من الآيات؛ وما ورد في معناها من الأحاديث الثابتات؛ على الفرقة القدرية؛ الذين نبغوا في أواخر عصر الصحابة"(١).

٧- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ [الروم: ٥٦]، في هذه الآية دلالة على أن كل ما هو كائن فقد سبقت كتابته ضمن التقدير الأزلي في كتاب الله؛ وهو اللوح المحفوظ، بما في ذلك مدة لبث الكافرين في قبورهم.

يقول الطبري: "قوله: ﴿فِي كِتَابِ اللهِ﴾، يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه"(٢).

ويقول الزجّاج: "قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾، أي: في علم اللَّهِ المُثْبَتِ في اللوْحِ المحْفُوظِ"(٣).

ويقول الثعلبي: "﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾، أي: فيما كتب الله لكم في سابق علمه"(٤).

ويقول الواحدي: "﴿وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ [الروم: ٥٦]، أي: لبثتم في القبور فيما كتب الله لكم من اللبث إلى يوم البعث، وقال الزجاج: في علم الله المثبت في اللوح المحفوظ"(٥).

ويقول إسماعيل حقي: "﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾؛ في الدنيا من الملائكة والانس رداً لهم، وإنكاراً لكذبهم، ﴿لَقَدْ﴾ والله قد: ﴿لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ وهو التقدير الأزلي في أم الكتاب، أي: علمه وقضائه، ﴿إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾"(٦).

ومما سبق نجد أن كلام من تقدم من المفسرين يدل على أنَّ الآية السابقة تدل إثبات التقدير الأزلي، الذي كتب في اللوح المحفوظ، بحيث شمل كل ما هو كائن، بما في ذلك مدة لبث الخلق في قبورهم، كما يدل عليه ظاهر الآية الكريمة، والآيات السابقة لها، في قول جماهير المفسرين، بل لا خلاف فيه بين المفسرين من أهل السنة، ولا عبرة بخلاف من خالفهم من فرق الضلال.

المطلب الثاني: أدلة التقدير الأزلي من السنة النبوية.

لقد دلت الكثير من أحاديث السنة النبوية على إثبات التقدير الأزلي، الذي كتب الله تعالى فيه مقادير كل شيء، وأثبتها في أم الكتاب؛ وهو اللوح المحفوظ، قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وهي أحاديث كثيرة جداً، وقد جمعها الفريابي في كتابه "القدر"، فبلغ بها (٤٤٨) حديثاً(٧)، وذكر ابن الوزير في كتابه "العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم"؛ (٢٠٠) حديث(٨)، تدل على إثبات القدر، ووجوب الإيمان به، والتي لا يتسع هذا البحث لحصرها، ومن أشهر تلك الأحاديث:

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/٤٨٢).
(٢) الطبري، جامع البيان، (٢٠/١١٩).
(٣) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٤/١٩٢).
(٤) الثعلبي، الكشف البيان، (٧/٣٠٧).
(٥) الواحدي، التفسير الوسيط، (٣/٤٣٩).
(٦) إسماعيل حقي، روح البيان، (٧/٥٩).
(٧) ينظر: الفريابي، القدر، (ص: ٢٥١).
(٨) ينظر: أبو القاسم، لابن الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة، (٦/٢١١).

١- حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»[١].

يقول النووي في شرح هذا الحديث: "«كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء»، قال العلماء: المراد تحديد وقت الكتابة في اللوح المحفوظ أو غيره؛ لا أصل التقدير؛ فإن ذلك أزلي لا أول له، وقوله: «وعرشه على الماء»، أي: قبل خلق السماوات والأرض، والله أعلم[٢]. ومراد النووي أن التحديد الزمني الوارد في الحديث عائد لزمن كتابة التقدير في اللوح المحفوظ، لا إلى أصل التقدير؛ فإن ذلك أزلي لا أول له، بعلم الله وإرادته، ولا أول لها، فإنه تعالى لم يزل عالماً مريداً.

٢- حديث عبادة بن الصامت، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، ثم قال: اكتب، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة»، ولفظ أبي داود: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: رب وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». وفي لفظ الطيالسي، ورواية للترمذي: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال: اكتب، فقال: ما أكتب؟ قال: اكتب القدر، ما كان؛ وما هو كائن؛ إلى الأبد»[٣].

يقول ابن أبي العز الحنفي: "القلم المذكور هو الذي خلقه الله وكتب به في اللوح المذكور المقادير، كما في سنن أبي داود، عن عبادة بن الصامت، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، قال: يا رب، وماذا أكتب؟ قال: اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة».

واختلف العلماء: هل القلم أول المخلوقات، أو العرش؟ على قولين، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمذاني، أصحهما: أن العرش قبل القلم، لما ثبت في الصحيح من حديث عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، وعرشه على الماء». فهذا صريح أن التقدير وقع بعد خلق العرش، والتقدير وقع عند أول خلق القلم، بحديث عبادة هذا.

قال: فهذا القلم أول الأقلام وأفضلها وأجلها. وقد قال غير واحد من أهل التفسير: إنه القلم الذي أقسم الله به في قوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾"[٤].

٣- حديث عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَعَقَلْتُ نَاقَتِي بِالْبَابِ، فَأَتَاهُ نَاسٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا بَنِي تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا، مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ، فَقَالَ: «اقْبَلُوا البُشْرَى يَا أَهْلَ اليَمَنِ، إِذْ لَمْ يَقْبَلْهَا بَنُو تَمِيمٍ»، قَالُوا: قَدْ قَبِلْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالُوا: جِئْنَاكَ نَسْأَلُكَ عَنْ هَذَا الأَمْرِ؟ قَالَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ». أخرجه البخاري[٥].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٤٤/٤)، الحديث رقم ١٦ - (٢٦٥٣)، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) شرح النووي على مسلم، (٢٠٣/١٦).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣٧٨/٣٧)، رقم (٢٢٧٠٥)، وأبو داود في سننه (٢٢٥/٤)، رقم (٤٧٠٠)، والترمذي في سننه (٢٨١/٥)، رقم (٣٣١٩)، (٢٧/٤)، رقم (٢١٥٥)، والطيالسي في مسنده (٤٧١/١)، رقم (٥٧٨)، والبزار في مسنده (١٣٧/٧)، رقم (٢٦٨٧)، عن عبادة بن الصامت، وصححه الترمذي، وقال البوصيري في "إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة"، (١٧٣/١): "إسناده صحيح، رجاله ثقات".

(٤) ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية، (ص: ٢٤١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٥/٤)، الحديث رقم (٣١٩١)، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وأخرجه الآجري في "الشريعة"، بلفظ: «كان الله تعالى، ولم يكن شيء، وكان عرشه على الماء، ثم كتب في الذكر كل شيء، قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة»[1].

يقول العيني في شرح الحديث: "قوله: «وكتب في الذكر»، أي: قدر كل الكائنات، وأثبتها في الذكر، أي: اللوح المحفوظ"[2].

٤- حديث عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: : كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقعد وقعدنا حوله، ومعه مخصرة فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: «ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسة، إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة» قال فقال رجل: يا رسول الله أفلا نمكث على كتابنا، وندع العمل؟ فقال: «من كان من أهل السعادة، فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان من أهل الشقاوة، فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة، اعملوا فكل ميسر، أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»، ثم قرأ: ﴿فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ [الليل: ٦]. أخرجه البخاري، ومسلم، واللفظ له[3].

يقول الخطابي في شرح هذا الحديث: "فهذا الحديث إذا تأملته أصبت منه الشفاء فيما يتخالجك من أمر القدر، وذلك أن السائل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ والقائل له: أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل؟ لم يترك شيئاً مما يدخل في أبواب المطالبات والأسئلة الواقعة في باب التجويز والتعديل إلاّ وقد طالب به وسأل عنه، فأعلمه صلى الله عليه وسلم أن القياس في هذا الباب متروك، والمطالبة عليه ساقطة، وأنه أمر لا يشبه الأمور المعلومة التي قد عقلت معانيها، وجرت معاملات البشر فيما بينهم عليها، وأخبر أنه إنما أمرهم بالعمل ليكون أمارة في الحال العاجلة لما يصيرون إليه في الحال الآجلة، فمن تيسر له العمل الصالح كان مأمولاً له الفوز، ومن تيسر له العمل الخبيث كان مخوفاً عليه الهلاك، وهذه أمارات من جهة العلم الظاهر، وليست بموجبات، فإن الله سبحانه طوى علم الغيب عن خلقه وحجبهم عن دركه، كما أخفى أمر الساعة، فلا يعلم أحد متى قيامها"[4].

٥- حديث جابر رضي الله عنه، قال: جاء سراقة بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن، فيما العمل اليوم؟ أفيما جفت به الأقلام، وجرت به المقادير، أم فيما نستقبل؟ قال: «لا، بل فيما جفت به الأقلام وجرت به المقادير» قال: ففيمَ العمل؟ قال: «اعملوا فكلٌّ ميسرٌ». أخرجه مسلم[5].

يقول النووي في شرح الحديث: "«جفت به الأقلام» أي مضت به المقادير، وسبق علم الله تعالى به، وتمت كتابته في اللوح المحفوظ، وجف القلم الذي كتب به، وامتنعت فيه الزيادة والنقصان، قال العلماء: وكتاب الله تعالى ولوحه وقلمه والصحف المذكورة في الأحاديث؛ كل ذلك مما يجب الإيمان به، وأما كيفية ذلك وصفته فعلمها إلى الله تعالى، ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء، والله أعلم"[6].

---

(١) أخرجه الآجري في الشريعة (٢/٧٦٤)، الحديث رقم (٣٤٤)، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

(٢) العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (١٥/١٠٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/١٧١)، الحديث رقم (٤٩٤٩)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٣٩)، الحديث رقم ٦ - (٢٦٤٧)، عن عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) الخطابي، معالم السنن، (٤/٣١٨).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٠)، رقم ٨ - (٢٦٤٨)، عن جابر رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٠)، رقم ٨ - (٢٦٤٨)، عن جابر رضي الله عنه.

٦- حديث عمران بن حصين رضي الله عنه، قال: قيل: يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال: فقال: نعم، قال قيل: ففيمَ يعمل العاملون؟ قال: «كلٌّ ميسرٌ لما خلق له». أخرجه مسلم(١).

وأخرجه البخاري، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُعْرَفُ أَهْلُ الجَنَّةِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قَالَ: فَلِمَ يَعْمَلُ العَامِلُونَ؟ قَالَ: «كُلٌّ يَعْمَلُ لِمَا خُلِقَ لَهُ، أَوْ: لِمَا يُسِّرَ لَهُ»(٢).

يقول ابن بطَّال في شرح الحديث: "قال المهلب: غرض البخاري في هذا الباب إدحاض حجة القدرية بهذه النصوص من كلام رسوله، فأخبر أنه قد فرغ من الحكم على كل نفس، وكتب القلم ما يصير إليه العبد من خير أو شر في أم الكتاب، وجف مداده على المقدور من علم الله"(٣).

ويقول ابن حجر: "وفي الحديث إشارة إلى أن المآل محجوب عن المكلف فعليه أن يجتهد في عمل ما أمر به فإن عمله أمارة إلى ما يؤل إليه أمره غالباً، فعليه أن يبذل جهده ويجاهد نفسه في عمل الطاعة، ولا يترك وكولاً إلى ما يؤل إليه أمره، فيلام على ترك المأمور، ويستحق العقوبة(٤).

ويستفاد من كلام شراح الحديث أنه قد سبق في التقدير الأزلي كتابة كل ما العباد عاملون، وأنه لا سبيل لمعرفة ذلك قطعاً، والعبد مأمور شرعاً بالعمل، والقدر سابق لا سائق، فهو لا يثبط العبد عن العمل، وفي الحديث رد على القدرية الذين ينكرون خلق الله لأفعال العباد، وتقديره لذلك.

المبحث الثالث: التقدير البشري. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تقدير الاستخلاف البشري:

تقدم أن التقدير البشري هو التقدير الذي وقع عند خلق أبي البشر آدم عليه السلام من طين، وإخبار الملائكة بأن آدم وذريته سيكونون خلفاء الله تعالى في أرضه، ثم وقع بعد خلقه؛ حينما أخذ الله تعالى الميثاق على الخلق، فأخذهم من ظهر أبيهم آدم، وأشهدهم على أنفسهم، كما سيأتي.

فالتقدير البشري بدأ أولاً بتقدير الاستخلاف، حين أخبر الله تعالى ملائكته بأنه سيستخلف آدم وذريته، وآدم ما زال في طينته، وتقدير الاستخلاف خاص بخلفاء الله تعالى في الأرض؛ وهم الأنبياء عليهم السلام، وهذا التقدير هو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قالُوا أَتَجْعَلُ فِيها مَنْ يُفْسِدُ فِيها وَيَسْفِكُ الدِّماءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠].

يقول الماوردي في تفسير هذه الآية: "﴿وَإِذْ قالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿وَإِذْ﴾ كلمة مقصورة، وليست بصلة زائدة، وفيها لأهل التأويل قولان: أحدهما: أن الله تعالى لما ذكَّر خلقه نِعَمَهُ عليهم بما خلقه لهم في الأرض، ذكّرهم نِعَمَهُ على أبيهم آدَمَ، ﴿إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾، وهذا قول المفضَّل، والثاني: أن الله تعالى ذكر ابتداء الخلق فكأنه قال: وابتدأ خلقكم ﴿إذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾"(٥).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢٠٤١/٤)، رقم ٩ - (٢٦٤٩)، عن عمران بن حصين رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٢/٨)، رقم (٦٥٩٦)، عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رضي الله عنه.

(٣) ابن بطَّال شرح صحيح البخاري، (٢٩٨/١٠).

(٤) ابن حجر، فتح الباري، (٤٩٣/١١).

(٥) الماوردي، النكت والعيون، (٩٣/١).

ويقول الواحدي: "قوله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، الخليفة: الذي يخلف الذاهب، أي: يجيء بعده، يقال: خلف فلان مكان فلان، وأصل الخليفة: خليف، بغير هاء، لأنه فعيل بمعنى فاعل كالعليم والسميع، فدخلت الهاء للمبالغة بهذا الوصف، وكما قالوا: راوية وعلامة، ألا ترى أنهم جمعوه خلفاء كما يجمع فعيل، ومن أنث لتأنيث اللفظ قال في الجمع: خلائف.

وقد ورد التنزيل بها، قال الله تعالى: ﴿خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الأعراف: ٦٩]، وقال: ﴿خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٤]، وأراد بالخليفة: آدم، في قول جميع المفسرين، جعله خليفة عن الملائكة الذين كانوا سكان الأرض بعد الجن"(١).

ويقول السمعاني: "﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ اتفقوا على أن المراد بهذا الخليفة آدم صلوات الله عليه، والخليفة والخليف بمعنى واحد، وجمع الخليف خلفاء. وجمع الخليفة خلائف"(٢).

ويقول البيضاوي: "والخليفة من يخلف غيره وينوب منابه، والهاء فيه للمبالغة، والمراد به آدم عليه الصلاة والسلام لأنه كان خليفة الله في أرضه، وكذلك كل نبي، استخلفهم الله في عمارة الأرض، وسياسة الناس، وتكميل نفوسهم، وتنفيذ أمره فيهم، لا لحاجة به تعالى إلى من ينوبه، بل لقصور المستخلف عليه عن قبول فيضه، وتلقي أمره بغير وسيط"(٣).

وقد ثبت تقدير الاستخلاف في السنة النبوية، فإن التقدير قد وقع عند استخلاف البشر؛ وخلق أبيهم آدم عليه السلام من طين، وذلك قبل اكتمال خلق آدم ونفخ روحه بأربعين سنة، وهي المدة التي بقي فيها آدم يتخمر في طينته، وقد أشار آدم عليه السلام إلى هذا التقدير في محاجته لموسى عليه السلام.

فقد جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «احْتَجَّ آدَمُ وَمُوسَى، فَقَالَ مُوسَى: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُونَا خَيَّبْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْجَنَّةِ، فَقَالَ لَهُ آدَمُ: أَنْتَ مُوسَى، اصْطَفَاكَ اللهُ بِكَلَامِهِ، وَخَطَّ لَكَ بِيَدِهِ، أَتَلُومُنِي عَلَى أَمْرٍ قَدَّرَهُ اللهُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَنِي بِأَرْبَعِينَ سَنَةً؟». فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى، فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى»(٤).

يقول الإمام ابن حجر في شرح الحديث: "قوله: «قبل أن يخلقني بأربعين سنة»، في رواية يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة: «فكيف تلومني على أمر كتبه الله أو قدره الله علي»؟ ولم يذكر المدة. وثبت ذكرها في رواية طاوس، وفي رواية محمد بن عمرو عن أبي سلمة، ولفظه: «فكم تجد في التوراة أنه كتب علي العمل الذي عملته قبل أن أخلق؟ قال: بأربعين سنة. قال: فكيف تلومني عليه»؟

قال ابن التين: يحتمل أن يكون المراد بالأربعين سنة ما بين قوله تعالى: ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾؛ إلى نفخ الروح في آدم.

وقال ابن الجوزي: يجوز أن تكون قصة آدم بخصوصها كتبت قبل خلقه بأربعين سنة.

---

(١) الواحدي، التفسير الوسيط، (١/١١٣).

(٢) تفسير السمعاني، (١/٦٣).

(٣) البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، (١/٦٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/١٢٦)، رقم (٦٦١٤)، ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٢)، رقم ١٣ – (٢٦٥٢)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ويجوز أن يكون ذلك القدر مدة لبثه طيناً إلى أن نفخت فيه الروح، فقد ثبت في صحيح مسلم، أن بين تصويره طيناً ونفخ الروح فيه كان مدة أربعين سنة، ولا يخالف ذلك كتابة المقادير عموماً قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

وقال المازري: الأظهر أن المراد أنه كتبه قبل خلق آدم بأربعين عاماً.

وقال النووي: كان بعض شيوخنا يزعم أن المراد إظهار ذلك عند تصوير آدم طيناً، فإن آدم أقام في طينته أربعين سنة، والمراد على هذا بخلقه نفخ الروح فيه"(1).

فلا تعارض بين الروايات، فإن معصية آدم قد كتبت في اللوح قبل خلق السماوات والأرض، وكذلك في التقدير البشري المتعلق باستخلاف البشر، والذي هو منسوخ من اللوح المحفوظ؛ كغيره من أنواع التقدير.

والمقصود بالمدة المذكورة مدة بقاء آدم في طينته، فقد بقي منجدلاً في طينته أربعين سنة، حتى تحول من طين إلى بشر سوي، كما أنَّ النشأة الأخرى التي يتحول فيها الخلق من عظام بالية إلى خلقٍ آخر تمكث أربعين سنة، وهي ما بين صرختي الصعق والفزع.

وتقدير الاستخلاف هو تقدير خاص بخلفاء الله تعالى في الأرض؛ وهم الأنبياء عليهم السلام، فقد كتب فيه أسماء الأنبياء وأقدارهم، فكل ما ورد في ذلك هو في شأن الأنبياء عليهم السلام.

وقد ورد في بعض الأحاديث النبوية تعليق التقدير بتلك المدة الزمنية، التي كان آدم فيها منجدلاً في طينته، كما أخرج أحمد، والطبري، وابن حبان، والآجري، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنِّي عِنْدَ اللهِ مَكْتُوبٌ لَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ». واللفظ لابن حبان، والطبري، ولفظ البقية بنحوه(2).

يقول البيهقي في شرح هذا الحديث: "وإنما أراد – والله أعلم – أنه كذلك في قضاء الله وتقديره، قبل أن يكون آدم عليه السلام"(3).

وأخرج أحمد في مسنده، وابن أبي عاصم في السنة، والفريابي في القدر، والطبراني في الكبير، والحاكم في المستدرك، عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَتَى كُتِبْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: «وآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»(4).

وأخرج الترمذي في "سننه"، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَتَى وَجَبَتْ لَكَ النُّبُوَّةُ؟ قَالَ: «وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالجَسَدِ»(5).

---

(1) ابن حجر، فتح الباري، (١١/٥٠٨).

(2) أخرجه أحمد في "مسنده"، (٢٨/٣٧٩)، رقم (١٧١٥٠)، والطبري في تفسيره، (٢٣/٣٥٩)، وابن حبان في صحيحه (١٤/٣١٢)، رقم (٦٤٠٤)، والآجري في الشريعة (٣/١٤٠٨)، رقم (٩٤٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٨/٢٥٢)، رقم (٦٣٠)، والحاكم في المستدرك (٢/٤٥٣)، رقم (٣٥٦٦)، وصححه، ووافقه الذهبي. وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢/٥١٠)، رقم (١٣٢٢)، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه، وسنده صحيح، صححه ابن حبان.

(3) البيهقي، شعب الإيمان، (٢/٥١٠).

(4) أخرجه أحمد في مسنده (٣٤/٢٠٢)، رقم (٢٠٥٩٦)، وابن أبي عاصم في السنة (١/١٧٩)، رقم (٤١٠)، والفريابي في القدر (ص: ٢٩)، رقم (١٧)، والطبراني في الكبير (٢٠/٣٥٣)، رقم (٨٣٤)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٦٥)، رقم (٤٢٠٩)، عَنْ مَيْسَرَةَ الْفَجْرِ، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي.

(5) أخرجه الترمذي في سننه (٥/٥٨٥)، رقم (٣٦٠٩)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وحسنه الترمذي، وصححه الألباني، في صحيح وضعيف سنن الترمذي (٨/١٠٩)، رقم (٣٦٠٩).

وأخرجه تمَّام الرازي "فوائده"، عن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول الله! متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم منجدلٌ في طينته»[1].

وفي هذه الأحاديث أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم كُتب نبياً وآدم بين الروح والجسد، يعني وهو منجدل في طينته، قبل أن ينفخ فيه الروح، كما في الرواية السابقة، ورواية: (متى كنتَ نبياً)؟؛ هي رواية مصحفة، والصواب: (متى كُتبتَ نبياً)؟؛ وهي من الكتابة.

يقول الطحاوي في شرح هذا الحديث: "وأما قوله صلى الله عليه وسلم: «كتبت نبياً وآدم بين الروح والجسد»؛ فإنه وإن كان حينئذ نبياً؛ فقد كان الله تعالى كتبه في اللوح المحفوظ نبياً، ثم أعاد اكتتابه إياه في الوقت المذكور في هذا الحديث، كما قال عز وجل: ﴿ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾ [الأنبياء: ١٠٥]، وكان عز وجل قد كتب ذلك في اللوح المحفوظ، ثم أعاد اكتتابه في الزبور المحزبة[2] بعد ذلك، فمثل ذلك اكتتابه عز وجل النبي عليه السلام، وآدم بين الروح والجسد، بعد اكتتابه إياه قبل ذلك في اللوح المحفوظ أنه كذلك، وبالله التوفيق"[3].

عن ابن عمر، قال: قالت أم سلمة: يا رسول الله لا يزال يصيبك في كل عامٍ وجعٌ من الشاة المسمومة التي أكلت، قال: «ما أصابني شيءٌ منها، إلا وهو مكتوبٌ عليَّ وآدم في طينته»[4].

يقول المِلَّا علي القاري: "«إلا وهو مكتوبٌ عليَّ وآدم في طينته»: قال الطيبي: مثل للتقدير السابق؛ لا تعيين، فإن كون آدم في طينته أيضا مقدرٌ قبله، ويؤيده قوله تعالى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها﴾ [الحديد: ٢٢]: أي: نخلقها"[5].

المطلب الثاني: تقدير العهد والميثاق على جميع البشر:

لقد أثبت القرآن الكريم التقدير البشري؛ الذي أخذ فيه الميثاق على جميع البشر، حين أخذهم الله تعالى من ظهر أبيهم آدم عليه السلام، وأشهدهم على أنفسهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

يقول الثعلبي في تفسير الآية: "قال المفسّرون: لما خلق الله عزّ وجلّ آدم مسح ظهره وأخرج منه ذريته كلهم، وهي الذرية، واختلفوا في موضع الميثاق. فقال ابن عباس: ببطن نعمان؛ واد إلى جنب عرفة، وروي فيه أيضا أنّ ذلك برهبا أرض بالهند، وهو الموضع الذي أهبط الله فيه آدم صلى الله عليه وسلم. وقال الكلبي: بين مكّة والطائف"[6].

---

(١) أخرجه تمام الرازي "فوائده" (٢٤٠/١)، رقم (٥٨٠)، عن أبي هريرة.

(٢) الزبور المحزبة: أي الزبور المقسمة إلى أحزاب متعددة.

(٣) الطحاوي، شرح مشكل الآثار، (٢٣٤/١٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه في "سننه" (١١٧٤/٢)، رقم (٣٥٤٦)، والفريابي في "القدر" (ص: ٢٦٧)، رقم (٤١٩)، والطبراني في مسند الشاميين (٣٦٦/٢)، رقم (١٥٠٧)، عن ابن عمر، وفيه أبو بكر العنسي، وهو ضعيف عند أهل الحديث.

(٥) المِلَّا علي القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، (٢٠٢/١).

(٦) الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، (٣٠٣/٤).

ويقول السمعاني: "والمعروف الذي عليه جماعة المفسرين في معنى الآية: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قالُوا بَلى شَهِدْنا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غافِلِينَ﴾؛ أن الله تعالى مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء كهيئة الذر يتحركون، ثم مسح صفحة ظهر آدم اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر، فقال: يا آدم، هؤلاء ذريتك، ثم قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ ؟ قالوا: بلى، فقال للبيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي، وهم أصحاب اليمين، وقال للسود: هؤلاء في النار ولا أبالي، وهم أصحاب الشمال، ثم أعادهم جميعا في صلبه، فأهل القبور محبوسون حتى يخرج أهل الميثاق كلهم من أصلاب الرجال وأرحام النساء"(١).

ويقول الفخر الرازي: "في تفسير هذه الآية قولان: الأول: وهو مذهب المفسرين؛ وأهل الأثر؛ ما روى مسلم بن يسار الجهني: أن عمر رضي الله عنه سئل عن هذه الآية فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عنها فقال: «إن الله سبحانه وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون» فقال رجل يا رسول الله ففيم العمل؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخل الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله الله النار».

وهذا القول قد ذهب إليه كثير من قدماء المفسرين، كسعيد بن المسيب، وسعيد بن جبير، والضحاك، وعكرمة، والكلبي. أما المعتزلة: فقد أطبقوا على أنه لا يجوز تفسير هذه الآية بهذا الوجه"(٢).

والحديث الذي رواه مسلم بن يسار الجهني عن عمر رضي الله عنه؛ أعله الترمذي وغيره بأن مسلم بن يسار الجهني لم يسمع من عمر، لكنه قد ورد من غير طريق مالك أنه رواه عن نعيم بن ربيعة؛ عن عمر رضي الله عنه، والظاهر الاتصال وعدم الانقطاع، وهو ما رجحه الدارقطني، وابن كثير، وغيرهما.

يقول ابن كثير: "قال الترمذي: وهذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع عمر. وكذا قاله أبو حاتم وأبو زرعة. زاد أبو حاتم: وبينهما نعيم بن ربيعة.

وهذا الذي قاله أبو حاتم، رواه أبو داود في سننه، عن محمد بن مصفى، عن بقية، عن عمر ابن جعثم القرشي، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، عن مسلم بن يسار الجهني، عن نعيم بن ربيعة قال: كنت عند عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وقد سئل عن هذه الآية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ فذكره، وقال الحافظ الدارقطني: وقد تابع عمر بن جعثم بن زيد بن سنان أبو فروة الرهاوي، وقولهما أولى بالصواب من قول مالك، والله أعلم.

قلت: الظاهر أن الإمام مالكا إنما أسقط ذكر "نعيم بن ربيعة" عمداً؛ لما جهل حاله ولم يعرفه، فإنه غير معروف إلا في هذا الحديث، وكذلك يسقط ذكر جماعة ممن لا يرتضيهم؛ ولهذا يرسل كثيراً من المرفوعات، ويقطع كثيراً من الموصولات، والله أعلم"(٣).

ويقول ابن كثير أيضاً: "فهذه الأحاديث دالة على أن الله، عز وجل، استخرج ذرية آدم من صلبه، وميَّز بين أهل الجنة وأهل النار، وأما الإشهاد عليهم هناك بأنه ربهم، فما هو إلا في حديث كلثوم بن جبر عن سعيد بن

---

(١) تفسير السمعاني، (٢/٢٢٩).

(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، (١٥/٣٩٧-٣٩٨).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٣/٥٠٣-٥٠٤).

جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وفي حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، وقد بينا أنهما موقوفان لا مرفوعان، ومن ثم قال قائلون من السلف والخلف: إن المراد بهذا الإشهاد إنما هو فطرهم على التوحيد"(١).

وإذا ثبت بالأحاديث الصحيحة أن الله عز وجل، استخرج ذرية آدم من صلبه؛ فلا وجه لإنكار الاستشهاد؛ إلا التأثر بسخافات المعتزلة؛ فإن الآية قد نصت عليه، والأحاديث أكدت ذلك، وحديث ابن عباس قد ثبت رفعه، وعلى فرض وقفه فمثله لا يقال بالرأي، فترك مثل هذه الأدلة من الكتاب والسنة بسبب تعليلات واهية هي نزعة اعتزالية وقع فيها بعض المفسرين من أهل السنة.

يقول القرطبي: "ومعنى هذا الحديث قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ثابتة كثيرة، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبد الله بن مسعود، وعلي بن أبي طالب، وأبي هريرة؛ رضي الله عنهم أجمعين"(٢).

ويقول الشوكاني: "والمعنى: أن الله سبحانه لما خلق آدم مسح ظهره فاستخرج منه ذريته وأخذ عليهم العهد، وهؤلاء هم عالم الذر، وهذا هو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه، ولا المصير إلى غيره، لثبوته مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وموقوفاً على غيره من الصحابة، ولا ملجئ للمصير إلى المجاز، وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل"(٣).

وقد تظافرت الأحاديث الصحيحة بإثبات أخذ الميثاق من ذرية آدم، بأخذ أرواحهم من صلب أبيهم آدم، وإشهادهم على أنفسهم، كما دلت عليه الآية الكريمة.

فمنها: ما رواه كلثوم بن جَبْر عن سعيد بن جُبير عن ابن عباس عن النبي –صلي الله عليه وسلم– قال: "أخذ الله الميثاقَ من ظهر آدم بنَعْمَان، يعني عرفة، فأخرج من صلبه كل ذرية ذَرَأها، فنثرهم بين يديه كالذَّرّ، ثم كلمهم قبَلاً {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ (١٧٢) أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ (١٧٣)} [الأعراف: ١٧٣](٤).

وقال النسائي عقب إخراجه: "وكلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ".

وتعقبه الضياء المقدسي، فقال: "رواه النسائي، وقال: "كلثوم هذا ليس بالقوي، وحديثه ليس بالمحفوظ". قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: كلثوم بن جبر أبو محمد البصري، والد ربيعة بن كلثوم، روى عن أبي غادية ومسلم بن يسار وسعيد بن جبير، وروى عنه عبد الله بن عون، وحماد بن سلمة، وعبد الوارث، ومرثد بن عامر، وابنه ربيعة، قلت: وثقه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين"(٥).

والصواب توثيق كُلْثُومِ بْنِ جَبْرٍ، وقد احتج به مسلم في "صحيحه".

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٥٠٦/٣).

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (٣١٥/٧).

(٣) الشوكاني، فتح القدير، (٢٩٩/٢).

(٤) أخرجه أحمد في "مسنده"، (٢٦٧/٤)، رقم (٢٤٥٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٢/١٠)، رقم (١١١٢٧)، وابن أبي عاصم في "السنة"، (٨٩/١)، رقم (٢٠٢)، والطبري في "جامع البيان"، (٢٢٢/١٣)، رقم (١٥٣٣٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٢٩/١٠)، رقم (٣٨٨٩)، والحاكم في "المستدرك"، (٨٠/١)، رقم (٧٥)، والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة"، (٣٣٨/١٠)، رقم (٣٦٦)، عَنْ كُلْثُومِ بْنِ جَبْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، مرفوعاً، وصححه الحاكم، والضياء المقدسي، وأورده الألباني في "الصحيحة" رقم (١٦٢٣).

(٥) محمد بن عبد الواحد المقدسي، الأحاديث المختارة، (٣٤٠/١٠).

وقال أبو جعفر الطحاوي في شرح الحديث: "فكان في هذا الحديث من استخراج الله عز وجل ذرية آدم من صلبه مثل الذي في الحديث الأول، وزيادة على ما في الحديث الأول، وهو كلامه إياهم قُبُلاً: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ [الأعراف: ١٧٢]، ثم ذكر بقية ما في الآية التي تلونا، وكان ذلك غير مستنكر في لطيف قدرة الله عز وجل، وقد تأول آخرون هذه الآية ممن لم يقفوا على ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في المراد بها؛ أن الله عز وجل ألهم ذرية آدم صلى الله عليه وسلم في خلقه إياهم المعرفة به؛ التي هي موجودة في جميعهم؛ أن لهم خالقاً سواهم، وأنهم عاجزون عن خلق أمثالهم، وأن الخالق لهم هو بخلافهم؛ لأنه القادر على أن خلقهم، ولأنهم عاجزون عن مثل ذلك فيما سواهم حتى لا يستطيعون مع ذلك أن يقولوا خلافه، وكان ذلك شهادة منهم على أنفسهم لله عز وجل أنه ربهم، وهذا تأويل لو لم نكن سمعنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما في الحديثين الأولين؛ لاستحسناه من متأوليه، إذ كانوا تأولوا الآية على ما هي محتملة له، ولكن لما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم مراد الله عز وجل الذي أراده بها؛ كان ذلك هو الحجة الذي لا يجوز القول بخلافه، ولا التأويل على ما سواه، والله عز وجل نسأله التوفيق"(١).

ومنها: ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لما خلق الله آدم مسح ظهره، فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كل إنسان منهم وبيصا من نور، ثم عرضهم على آدم فقال: أي رب، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتك، فرأى رجلا منهم فأعجبه وبيص ما بين عينيه، فقال: أي رب من هذا؟ فقال: هذا رجل من آخر الأمم من ذريتك يقال له داود فقال: رب كم جعلت عمره؟ قال: ستين سنة، قال: أي رب، زده من عمري أربعين سنة، فلما قضي عمر آدم جاءه ملك الموت، فقال: أولم يبق من عمري أربعون سنة؟ قال: أولم تعطها ابنك داود قال: فجحد آدم فجحدت ذريته، ونسي آدم فنسيت ذريته، وخطئ آدم فخطئت ذريته": «هذا حديث حسن صحيح، وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم»"(٢).

يقول الكشميري في شرح الحديث: "قوله: (فسقط من ظهره كل نسمة وهو خالقها)، في سقوط الذرية من ظهر آدم قولان؛ قيل: تخرج الأرواح بلا واسطة من ظهر آدم نفسه، وقيل: تخرج من ظهر آدام أرواح أولاده الصلبية ثم تخرج الأرواح من أولاده ومنهم أولادهم هكذا، أي الخروج بالواسطة"(٣).

ويقول عبد الرحمن المباركفوري: "وفي الحديث دليل بين على أن إخراج الذرية كان حقيقيا (وبيصا) أي بريقا ولمعانا (من نور) في ذكره إشارة إلى الفطرة السليمة وفي قوله بين عيني كل إنسان إيذان بأن الذرية كانت على صورة الإنسان على مقدار الذر"(٤).

ومنها: ما أخرجه أحمد في "مسنده"، وابن حبان في "صحيحه"، والحاكم في "المستدرك"، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ آدَمَ، ثُمَّ أَخَذَ الْخَلْقَ مِنْ ظَهْرِهِ،

(١) الطحاوي، شرح مشكل الآثار، (٢٩/١٠).

(٢) أخرجه الترمذي في "سننه"، (٢٦٧/٥)، رقم (٣٠٧٦)، وأبو يعلى في "مسنده"، (٢٦٣/١١)، رقم (٦٣٧٧)، والبزار في "مسنده"، (٣٣٥/١٥)، رقم (٨٨٩٢)، والفريابي في "القدر"، (ص: ٣٥)، رقم (١٩)، والحاكم في "المستدرك"، (٣٥٤/٢)، رقم (٣٢٥٧)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وصححه الترمذي، والحاكم، والذهبي. صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير وزيادته (٩٢٥/٢) رقم (٥٢٠٨).

(٣) محمد أنور شاه، العرف الشذي شرح سنن الترمذي، (٢٦٣/٤).

(٤) المباركفوري، تحفة الأحوذي، (٣٦٣/٨).

وَقَالَ: هَؤُلَاءِ فِي الْجَنَّةِ وَلَا أُبَالِي، وَهَؤُلَاءِ فِي النَّارِ وَلَا أُبَالِي»، قَالَ: فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ فَعَلَى مَاذَا نَعْمَلُ؟ قَالَ: «عَلَى مَوَاقِعِ الْقَدَرِ»(١).

يقول ابن الوزير: وقوله: "ولا أبالي"؛ ليس فيه التعذيب بغير ذنب ولا حجة، ولهذا ذكر العمل في موافقته للقدر، وإنما هو مثل قوله تعالى: ﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾ [الفرقان: ٧٧]، فأثبت عدم المبالاة على حال. ومثل قوله: ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾ [الشورى: ٧]، ولم يستلزم إهمال الأعمال، وإنما خرجت هذه الأشياء مخرج التمدح بالقدرة التامة، كقوله تعالى: ﴿ولله ملك السماوات والأرض يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وكان الله غفورا رحيما﴾ [الفتح: ١٤]"(٢).

ومنها: رواه عبد الله بن عمرو، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إِنَّ اللهَ خَلَقَ خَلْقَهُ، ثُمَّ جَعَلَهُمْ فِي ظُلْمَةٍ، ثُمَّ أَخَذَ مِنْ نُورِهِ مَا شَاءَ فَأَلْقَاهُ عَلَيْهِمْ، فَأَصَابَ النُّورُ مَنْ شَاءَ أَنْ يُصِيبَهُ، وَأَخْطَأَ مَنْ شَاءَ، فَمَنْ أَصَابَهُ النُّورُ يَوْمَئِذٍ فَقَدِ اهْتَدَى، وَمَنْ أَخْطَأَهُ يَوْمَئِذٍ ضَلَّ، فَلِذَلِكَ قُلْتُ: جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا هُوَ كَائِنٌ»(٣). وفي رواية الترمذي، والحاكم: «فلذلك أقول جف القلم على علم الله»(٤).

يقول البيهقي: "باب ذكر البيان أن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، ثم ألقى عليهم من نوره فمن علم الله إيمانه وأمر القلم فجرى به وكتب من السعداء، أصابه من ذلك النور فاهتدى، ومن علم الله كفره وأمر القلم فجرى به وكتب من الأشقياء أخطأه ذلك النور فضل، قال الله عز وجل: ﴿ أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾، وقال الله عز وجل: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقال: ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ ﴾ [الجاثية:٢٣]"(٥).

ويقول ابن بَطَّة: "وحاصل ما تقرره النصوص في هذه الأبواب الثلاثة أنه تعالى علم أهل الجنة والنار، وأهل السعادة والشقاء أزلاً، وحددهم وميز بعضهم عن بعض، وذلك عندما أخذ الله ذرية آدم من ظهره، فأخذ كل طيبة بيده اليمنى بيضاء نقية، وأخبر أنها من أصحاب الجنة، وأخذ كل خبيثة بيده الأخرى سوداء على هيئة الفحم، وبين أنهم من أصحاب النار، ثم أعادها في صلب آدم بعد أن أشهدهم على أنفسهم أنه ربهم وخالقهم، وأخذ الميثاق منهم على عدم مخالفتهم العهد عندما يرسل إليهم الرسل في الدنيا.

أما أهل السعادة فإنهم يوفون العهد بعد وجودهم في الدنيا فيكونون من أهل الجنة، وأما الأشقياء فإنهم ينقضون الميثاق؛ فيكونون من أصحاب السعير"(٦).

---

(١) أخرجه أحمد في "مسنده"، (٢٠٦/٢٩)، رقم (١٧٦٦٠)، وابن حبان في "صحيحه"، (٥٠/٢)، رقم (٣٣٨)، والحاكم في المستدرك (٨٥/١)، رقم (٨٤)، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ قَتَادَةَ السُّلَمِيِّ، وصححه ابن حبان، والحاكم، ووافقه الذهبي، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده قوي، الحارث بن مسكين ثقة روى له أبو داود والنسائي، ومن فوقه من رجال الصحيح غير راشد بن سعد، فقد روى له أصحاب السنن، وهو ثقة".

(٢) ابن الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، (٢٤١/٦).

(٣) أخرجه أحمد في "مسنده"، (٤٤١/١١)، رقم (٦٨٥٤)، والطيالسي في "مسنده"، (٤٧/٤)، رقم (٢٤٠٥)، وابن حبان في صحيحه (٤٣/١٤)، رقم (٦١٦٩)، عن عبد الله بن عمرو، وصححه ابن حبان، والحاكم، والذهبي، وقال شعيب الأرنؤوط: "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين غير عبد الله بن الديلمي –وهو عبد الله بن فيروز–، فقد روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه، وهو ثقة".

(٤) أخرجه الترمذي في سننه (٣٢٣/٤)، رقم (٢٦٤٢)، وحسنه، والحاكم في "المستدرك"، (٨٤/١)، رقم (٨٣)، وصححه الحاكم، والذهبي.

(٥) البيهقي، القضاء والقدر، (ص: ١٣٦).

(٦) ابن بطة، الإبانة الكبرى، (١٦٩/٣).

وحديث خلقهم في الظلمة؛ وإلقاء النور عليهم؛ هو بمعنى الحديث السابق؛ الذي يفيد أنه جعل بين أعينهم وبيصاً من النور، وهذا النور هو نور الهداية للإيمان والتوحيد، وكذلك أخذ الميثاق كان على الاعتراف بالتوحيد، ولا تعارض بينها، فإنه أخذ الميثاق على جميع البشر، وفطرهم جميعاً على التوحيد، ومعرفة الخالق، ثم ألقى نوره على من سبق في علمه أنه من أهل السعادة، ولذا فإن الجميع يولدون على فطرة التوحيد.

وقد ذكر البيهقي؛ عن الحجاج بن منهال، قال: سمعت حماد بن سلمة، يفسر حديث: «كل مولود يولد على الفطرة». قال: " هذا عندنا حيث أخذ الله جل وعز عليهم العهد في أصلاب آبائهم، حيث قال: ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقال إسحاق بن إبراهيم الحنظلي؛ في حديث عياض بن حمار: «خلقت عبادي حنفاء»، وحديث أبي هريرة: «كل مولود يولد على الفطرة»: إنما هذا على الميثاق الأول: ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وقال أحمد بن عبيد الصفار: معنى قوله: «كل نسمة تولد على الفطرة»، يعني الفطرة التي فطرهم عليها؛ حين أخرجهم من صلب آدم، فأقروا بتوحيده"(١).

المبحث الرابع: التقدير العمري. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة التقدير العمري من القرآن الكريم.

قدمنا أنَّ التقدير العمري وهو تقدير كل ما يجري على العبد من حين نفخ الروح فيه؛ إلى نهاية أجله، والمراد به رزق العبد وأجله وعمله وشقاوته أو سعادته، وهو تقدير منسوخ من التقدير الأزلي الثابت في اللوح المحفوظ، ويكتبه الملك عند نفخ الروح في الجنين، وهو ما تدل عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

فأما دليل التقدير العمري من القرآن الكريم؛ فيدل عليه قوله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢]، كما قال علماء التفسير.

يقول الطبري في تفسير الآية: "وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الأَرْضِ﴾، يقول تعالى ذكره: ربكم أعلم بالمؤمن منكم من الكافر، والمحسن منكم من المسيء، والمطيع من العاصي، حين ابتدعكم من الأرض، فأحدثكم منها بخلق أبيكم آدم منها، وحين أنتم أجنة في بطون أمهاتكم، يقول: وحين أنتم حمل لم تولدوا"(٢).

ويقول الثعلبي: "﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، أي خلق أباكم من التراب، ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ﴾، جمع جنين، وهو الولد ما دام في البطن، سمّي جنيناً لاجتنانه أي استتاره. روى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت اليهود إذا هلك لهم [صغير] قالوا: هو صِدّيق، فبلغ ذلك النبي صلّى الله عليه وسلّم وقال: «كذبوا ما من نسمة يخلقها الله سبحانه في بطن أمها إلّا شقيٌ أو سعيدٌ»، فأنزل الله سبحانه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ﴾"(٣).

ويقول الرازي عن مناسبة الآية لما قبلها: "ثم قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾، وفي المناسبة وجوه: أحدها: هو تقرير لما مر من قوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ﴾ [النجم: ٣٠]، كأن العامل من الكفار يقول: نحن نعمل أمورا في جوف الليل المظلم، وفي

(١) البيهقي، القضاء والقدر، (ص: ٣٤٤، ٣٤٥).
(٢) الطبري، جامع البيان، (٢٢/٥٣٩).
(٣) الثعلبي، الكشف البيان، (٩/١٥٠).

البيت الخالي فكيف يعلمه الله تعالى؟ فقال: ليس عملكم أخفى من أحوالكم وأنتم أجنة في بطون أمهاتكم، والله عالم بتلك الأحوال.

ثانيها: هو إشارة إلى الضال والمهتدي؛ حصلا على ما هما عليه بتقدير الله، فإن الحق علم أحوالهم وهم في بطون الأمهات، فكتب على البعض أنه ضال، والبعض أنه مهتدٍ"(١).

ويقول ابن كثير: "وقوله: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾، أي: هو بصير بكم، عليم بأحوالكم وأفعالكم وأقوالكم التي تصدر عنكم وتقع منكم، حين أنشأ أباكم آدم من الأرض، واستخرج ذريته من صلبه أمثال الذر، ثم قسمهم فريقين: فريقاً للجنة وفريقاً للسعير. وكذا قوله: ﴿وإذ أنتم أجنةٌ في بطون أمهاتكم﴾؛ قد كتب الملك الذي يوكل به رزقه؛ وأجله؛ وعمله؛ وشقي أم سعيد"(٢).

ويقول الشوكاني: "أي: هو أعلم بمن اتقى عقوبة الله وأخلص العمل له. قال الحسن: وقد علم سبحانه من كل نفس ما هي عاملة، وما هي صانعة، وإلى ما هي صائرة"(٣).

وأخرج ابن أبي شيبة في "مصنفه"، والفريابي في "القدر"، وابن بطة في "الإبانة الكبرى"، عَنِ الْحَسَنِ؛ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾؛ [النجم: ٣٢] قَالَ: "عَلِمَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ نَفْسٍ مَا هِيَ عَامِلَةٌ، وَمَا هِيَ صَانِعَةٌ، وَإِلَى مَا هِيَ صَائِرَةٌ"(٤).

ويقول الشيخ حافظ الحكمي: "دليل التقدير العمري الذي عند أول تخليق النطفة: قال الله تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم:٣٢]"(٥).

وأخرج الطبراني في "المعجم الكبير"، عن ثابت بن الحارث الأنصاري، قال: "كانت يهود تقول إن أهلك لهم صبي صغير، قالوا: هو صديق، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «كذبت يهود ما من نسمة يخلقها الله، في بطن أمه إلا أنه شقي، وسعيد»، فأنزل الله عز وجل عند ذلك هذه الآية ﴿هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾ [النجم: ٣٢]، الآية كلها"(٦).

المطلب الثاني: أدلة التقدير العمري من السنة النبوية.

لا شك أن التقدير العمري قد ثبت في السنة النبوية، والمراد به تقدير رزق العبد، وأجله، وعمله، وشقاوته أو سعادته، وهو أمرٌ ثابت في السنة النبوية، وقد ورد في عدة أحاديث صحيحة، أهمها ما يلي:

١- حديث عبد الله بن مسعود، الثابت في الصحيحين، قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق، قال: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ، وَأَجَلِهِ، وَعَمَلِهِ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَالَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ

(١) الرازي، مفاتيح الغيب (٢٧١/٢٩).
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٤٦٢/٧).
(٣) الشوكاني، فتح القدير، (١٣٧/٥).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه"، (٢٣٤/٧)، رقم (٣٥٦١٨)، والفريابي في "القدر"، (ص: ٢٨١)، رقم (٤٤٣)، وابن بطة في "الإبانة الكبرى"، (١٨٥/٤)، رقم (١٦٨١)، عَنِ الْحَسَنِ البصري، وهو أثر موقوف على الحسن، من قوله.
(٥) حافظ الحكمي، أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، (ص: ٨٤).
(٦) أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، (٨١/٢)، رقم (١٣٦٨)، عن ثابت بن الحارث الأنصاري، وفيه ابن لهيعة، وفيه ضعف.

وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ، حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَدْخُلُهَا»(١).

٢- حديث حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغفاري، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَدْخُلُ الْمَلَكُ عَلَى النُّطْفَةِ بَعْدَ مَا تَسْتَقِرُّ فِي الرَّحِمِ بِأَرْبَعِينَ، أَوْ خَمْسَةٍ وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ؟ فَيُكْتَبَانِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ أَذَكَرٌ أَوْ أُنْثَى؟ فَيُكْتَبَانِ، وَيُكْتَبُ عَمَلُهُ وَأَثَرُهُ وَأَجَلُهُ وَرِزْقُهُ، ثُمَّ تُطْوَى الصُّحُفُ، فَلَا يُزَادُ فِيهَا وَلَا يُنْقَصُ». أخرجه مسلم(٢).

٣- حديث أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَكَّلَ اللَّهُ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ نُطْفَةٌ، أَيْ رَبِّ عَلَقَةٌ، أَيْ رَبِّ مُضْغَةٌ، فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَقْضِيَ خَلْقَهَا، قَالَ: أَيْ رَبِّ، أَذَكَرٌ أَمْ أُنْثَى، أَشَقِيٌّ أَمْ سَعِيدٌ، فَمَا الرِّزْقُ، فَمَا الأَجَلُ، فَيُكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ». أخرجه البخاري، ومسلم(٣).

يقول ابن القيم في الجمع بين هذه الأحاديث: "كثيرٌ من الناس يظن التعارض بين الحديثين؛ ولا تعارض بينهما بحمد الله، وأن الملك الموكل بالنطفة يكتب ما يقدره الله سبحانه على رأس الأربعين الأولى؛ حتى يأخذ في الطور الثاني وهو العلقة، وأما الملك الذي ينفخ فيه فإنما ينفخها بعد الأربعين الثالثة، فيؤمر عند نفخ الروح فيه بكتب رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته، وهذا تقدير آخر غير التقدير الذي كتبه الملك الموكل بالنطفة، ولهذا قال في حديث ابن مسعود: ثم يرسل إليه الملك فيؤمر بأربع كلمات، وأما الملك الموكل بالنطفة فذاك راتب معها ينقلها بإذن الله من حال إلى حال، فيقدر الله سبحانه شأن النطفة حتى تأخذ في مبدأ التخليق وهو العلق، ويقدر شأن الروح حين تتعلق بالجسد بعد مائة وعشرين يوماً، فهو تقدير بعد تقدير، فاتفقت أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق بعضها بعضاً، ودلت كلها على إثبات القدر السابق، ومراتب التقدير، وما يؤتى أحد إلا من غلط الفهم، أو غلط في الرواية، ومتى صحت الرواية وفهمت كما ينبغي تبين أن الأمر كله من مشكاة واحدة صادقة؛ متضمنة لنفس الحق، وبالله التوفيق"(٤).

المبحث الخامس: التقدير السنوي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة التقدير السنوي من القرآن الكريم.

قدمنا أن التقدير السنوي هو تقدير كل ما يجري في كل سنة، وذلك في ليلة القدر من كل سنة، وهو تقدير منسوخ من التقدير الأزلي المدون في اللوح المحفوظ، ودليله قوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان:٤]، وبذلك قال علماء التفسير.

يقول مقاتل في تفسير الآية: "﴿فِيها يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، يقضي الله في ليلة القدر كل أمر محكم من الباطل، ما يكون في السنة كلها إلى مثلها من العام المقبل، من الخير والشر، والشدة والرخاء، والمصائب"(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١١/٤)، الحديث رقم (٣٢٠٨)، مسلم في صحيحه (٢٠٣٦/٤)، الحديث رقم ١- (٢٦٤٣)، عن ابن مسعود.

(٢) أخرجه مسلم في "صحيحه"، (٢٠٣٧/٤)، رقم ٢ – (٢٦٤٤)، عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الغفاري رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢٢/٨)، رقم (٦٥٩٥)، ومسلم في صحيحه، (٢٠٣٨/٤)، رقم ٥ – (٢٦٤٦)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) ابن القيم، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (ص: ٢٢).

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان، (٨١٧/٣).

وروى الطبري في "تفسيره"، عن عمر مولى غفرة، قال: "يقال: ينسخ لملك الموت من يموت ليلة القدر إلى مثلها، وذلك لأن الله عزّ وجلّ يقول: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾، وقال: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، قال: فتجد الرجل ينكح النساء، ويغرس الغرس، واسمه في الأموات"(١).

ويقول الزجّاج: "قوله عزَّ وجلَّ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، يَفْرُق الله عزَّ وجلَّ في ليلة القدر كل أمر فيه حكمة، من أرزاقِ العِبادِ وآجالِهِمْ، وجميع أَمْرِهم الذي يكون مُؤَجَّلاً إلى ليلة القدر التي تكون في السنة المقبلة"(٢).

ويقول ابن كثير: "وقوله: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾، أي: في ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة، وما يكون فيها من الآجال والأرزاق، وما يكون فيها إلى آخرها. وهكذا روي عن ابن عمر، وأبي مالك، ومجاهد، والضحاك، وغير واحد من السلف"(٣).

المطلب الثاني: أدلة التقدير السنوي من السنة النبوية.

لقد ورد ذكر التقدير السنوي الذي يقع في ليلة القدر في بعض الأحاديث والآثار، وأهم تلك الأحاديث والآثار ما يلي:

١- ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «إنك لترى الرجل يمشي في الأسواق، وقد وقع اسمه في الموتى، ثم قرأ ﴿إنا أنزلناه في ليلة مباركة، إنا كنا منذرين فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤]، يعني ليلة القدر، ففي تلك الليلة يفرق أمر الدنيا إلى مثلها من قابل»(٤).

٢- ما رواه ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] قَالَ: «يُكْتَبُ مِنْ أُمِّ الْكُتُبِ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ مِنْ مَوْتٍ وَحَيَاةٍ وَرِزْقٍ وَمَطَرٍ وشَيْءٍ حَتَّى الْحُجَّاجُ يَكْتَبُونَ يَحُجُّ فُلَانٌ وَيَحُجُّ فُلَانٌ»(٥).

٣- ما أخرجه ابن بّطَّة في "الإبانة الكبرى"، عن الحسن البصري، أنه قال عن ليلة القدر: "والله الذي لا إله إلا هو، إنها لفي كل شهر رمضان، إنها ليلة يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضي الله عز وجل كل خلق وأجل وعمل ورزق إلى مثلها"(٦).

٤- ما أخرجه البيهقي في "فضائل الأوقات"، عن قتادة، في قول الله عز وجل: ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ [الدخان: ٤] قال: «يفرق فيها أمر السنة إلى السنة»(٧).

وهذه الآثار المروية عن الصحابة والتابعين لا يقال مثلها بالرأي، ومثلها يحكم برفعه.

---

(١) أخرجه الطبري في "تفسيره"، (٩/٢٢)، عن عمر بن عبد الله المدني مولى غفرة، وقد ضعفه النسائي، ووثقه ابن سعد، وكان كثير الإرسال. وهذه من مراسيله، فالرواية ضعيفة، لضعف عمر مولى غفرة؛ وإرساله.

(٢) الزجاج، معاني القرآن وإعرابه، (٤/٤٢٣).

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، (٧/٢٤٦).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٤٨٧)، رقم (٣٦٧٨)، والبيهقي في "شعب الإيمان"، (٥/٢٥٤)، رقم (٣٣٨٨)، والضياء في "المختارة"، (١٠/٢٣٦)، رقم (٢٤٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وصححه الحاكم، وقال: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه"، وقال الذهبي في "التلخيص": (٣٦٧٨): "صحيح على شرط مسلم".

(٥) محمد بن نصر المروزي، مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، (ص: ٢٥٠).

(٦) أخرجه ابن بّطَّة في "الإبانة الكبرى"، (٤/١٨٤)، رقم (١٦٧٧)، عن الحسن البصري، موقوفاً عليه، من قوله.

(٧) أخرجه البيهقي في "فضائل الأوقات"، (ص: ٢١٦)، رقم (٨٣)، عن قتادة، موقوفاً عليه، من قوله.

المبحث السادس: التقدير اليومي. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أدلة التقدير اليومي من القرآن الكريم.

قدمنا أن التقدير اليومي هو متعلق بالأقدار المقدرة في كل يوم، وهو منسوخ من التقدير السنوي؛ الذي نسخ من التقدير الأول؛ الذي كتب في اللوح المحفوظ، الذي هو أصل كل أنواع التقدير، كما قدمنا مراراً.

ودليل التقدير اليومي من القرآن الكريم: قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

يقول مقاتل في تفسير هذه الآية: "قوله: ﴿يَسْئَلُهُ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ﴾، يعني يسأل أهل الأرض الله الرزق، وتسأل الملائكة أيضا لهم الرزق والمغفرة ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، وذلك أن اليهود قالت: إن الله لا يقضى يوم السبت شيئاً، فأنزل الله– تعالى–: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، يوم السبت وغيره، وشأنه أنه يحدث في خلقه ما يشاء من خلق، أو عذاب، أو شدة، أو رحمة، أو رخاء، أو رزق، أو حياة، أو موت"(١).

ويقول مكي بن أبي طالب: "قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾، قال أهل المعرفة بالله: معناه أنه ينفذ ما قدر أن يكون مما سبق في علمه، وأثبته في اللوح المحفوظ، وليس هو إحداث أمر لم يتقدم في علمه، بل جرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، لا يزاد في ذلك ولا ينقص، لكنه تعالى يثبت ما يشاء، ويمحو ما يشاء، وكل ذلك تقدم علمه به بلا أمد"(٢).

ويقول ابن القيم: "قال مجاهد، والكلبي، وعبيد بن عمير، وأبو ميسرة، وعطاء، ومقاتل: من شأنه أنه يحيي ويميت، ويرزق ويمنع، وينصر ويعز ويذل، ويفك عانياً، ويشفي مريضاً، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويكشف كرباً، ويغفر ذنباً، ويضع أقواماً، ويرفع آخرين"(٣).

ويقول ابن حجر: "قوله: «أقول جف القلم على علم الله»، أخرجه أحمد وبن حبان من طريق أخرى عن ابن الديلمي، ولفظه: «فلذلك أقول جف القلم بما هو كائن».

ويقال: إن عبد الله بن طاهر أمير خراسان للمأمون سأل الحسين بن الفضل عن قوله تعالى: ﴿كل يوم هو في شأن﴾؛ مع هذا الحديث؟ فأجاب: هي شؤون يُبديها، لا شؤون يبتديها، فقام إليه وقبل رأسه"(٤).

المطلب الثاني: أدلة التقدير اليومي من السنة النبوية.

لقد دلت السنة النبوية على إثبات التقدير اليومي، كما دلَّ عليه القرآن الكريم فيما قدمنا، ومن الأحاديث والآثار التي تدل عليه:

١– ما رواه أَبو الدَّرْدَاءِ، عَنْ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن:٢٩]، قَالَ: «مِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَغْفِرَ ذَنْبًا، وَيُفَرِّجَ كَرْبًا، وَيَرْفَعَ قَوْمًا، وَيَضَعُ آخَرِينَ». وزاد ابن أبي عاصم، والبزار: «وَيُجِيبَ دَاعِيًا»(٥).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان، (٤/١٩٨).
(٢) مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية، (١١/٧٢٢٣).
(٣) ابن القيم، شفاء العليل، (ص: ٢٣).
(٤) ابن حجر، فتح الباري، (١١/٤٩٢).
(٥) أخرجه ابن ماجه في "سننه"، (١/٧٣)، رقم (٢٠٢)، وابن أبي عاصم في "السنة"، (١/١٢٩)، رقم (٣٠١)، وابن أبي حاتم في "تفسيره"، (١٠/٣٣٢٥)، رقم (١٨٧٣٧)، والبزار في "مسنده"، (١٠/٧٣)، رقم (٤١٣٧)، وابن حبان في "صحيحه"، (٢/٤٦٤)، رقم (٦٨٩)، والطبراني في "الأوسط"، (٣/٢٧٨)، رقم (٣١٤٠)، وأبو نعيم في "حلية الأولياء"، (٥/٢٥٢)، والبيهقي في "شعب الإيمان"، (٢/٣٦١)، رقم (١٠٦٧)، عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ. وفيه وزير بن صبيح الثقفي، وهو صالح الحديث عابد، وبقية رجاله ثقات. وقال البزار: "وهذا الحديث قد روي عن أبي الدرداء من غير وجه، وهذا من أحسن إسناد يروى عنه". وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٢/١٢٧) رقم (٦٨٨).

٢- ما رواه ابن عباس، قال: «إنَّ مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور وعرض ما بين السماء والأرض ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستون نظرة أو مرة، ففي كل نظرة منها يخلق ويحيي ويميت ويعز ويفعل ما يشاء. فذلك قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾»(١).

وما روي عن ابن عباس لا يقال مثله بالرأي، وهو مما يحكم برفعه.

٣- ما رواه ابْنُ عُمَر، عَن النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيه وَسَلَّم، في قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ قَالَ: «يَغْفِرُ ذَنْبًا، وَيَكْشِفُ كَرْبًا»(٢).

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتيسيره تتحقق الأمنيات، أحمده سبحانه وأشكره، وأثني عليه الخير كله، وأصلي وأسلم على نبيه ومصطفاه نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد انتهى بحمد الله هذا البحث، والذي عشت في الدفاع عن الإسلام، ودحض أكذوبة الصليب، فالحمد لله أوّلاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وقد وصلت –بحمد الله ومنته– إلى جملة من النتائج، يمكن إبراز أهمها فيما يلي:

١- أنَّ مراتب التقدير خمس، وهي: التقدير الأزلي، والتقدير البشري، والتقدير العمري، والتقدير السنوي، والتقدير اليومي.

٢- أنَّ تقسيم مراتب التقدير إلى خمس مراتب، هو تقسيم اجتهادي مستنبط من أدلة الكتاب والسنة، وذلك حسب أنواع التقدير الواردة فيهما.

٣- أنَّ مراتب التقدير المختلفة هي منسوخة من التقدير الأزلي، الذي كتب في اللوح المحفوظ، قبل خلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة.

٤- أنَّ التقدير البشري ينقسم إلى قسمين: تقدير الاستخلاف، وتقدير أخذ الميثاق على جميع البشر، حسب التفصيل المتقدم.

٥- أنَّ التقدير سابقٌ لا سائق، فالله تعالى علم بأعمال المكلفين قبل خلقهم، وكتبها في اللوح، وشاء وقوعها، وخلقها، وهم فاعلون مختارون، وعلى ذلك يحاسبون.

٦- أنَّ نسخ التقدير؛ وتنزيله على مراتبه ومراحله المختلفة؛ كان لحكمة عظيمة، يتعلم منها الإنسان أصول التخطيط والترتيب والتقسيم والتوقيت، وأسلوب التدرج والتأني والتريث، ليكون بذلك قادراً على عمارة الأرض، والقيام بواجب الاستخلاف.

٧- أنَّ نسخ التقدير؛ وتكراره حسب مراتبه ومراحله المختلفة؛ يفند شبهات القدرية، القائلين بإنكار التقدير، وهم مجوس هذه الأمة، ولا عبرة بقولهم.

(١) أخرجه الطبري في تفسيره، (٢٣/٤٠)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٦٠/١٠)، رقم (١٠٦٠٥)، والحاكم في المستدرك (٥١٦/٢)، رقم (٣٧٧١)، وقال الحاكم: "صحيح الإسناد ولم يخرجاه". وقال الذهبي في "التلخيص"، (٣٧٧١): "اسم أبي حمزة ثابت، وهو واهٍ بمرة". وقد تابع أبا حمزة الثمالي على هذه الرواية بكير بن شهاب عند الطبراني، وقد وثق، فسند الطبراني جيد، قال عنه الهيثمي في "مجمع الزوائد"، (١٩١/٧): "رواه الطبراني من طريقين، ورجال هذه ثقات".

(٢) أخرجه البزار في مسنده"، (٣١٤/١٢)، رقم (٦١٧٤)، عَن ابْنِ عُمَر، وفيه: مُحَمد بْنُ عَبد الرَّحْمَنِ الْبَيْلَمَانِيُّ، وأبوه، وكلاهما ضعيف. ويشهد له حديث أبي الدرداء، الذي قبله.

وهناك بعض التوصيات والاقتراحات التي يوصي بها الباحث في ختام بحثه طلاب العلم؛ والدارسين في علوم الشريعة؛ والجامعات الإسلامية؛ ومراكز البحث العلمي والأكاديمي؛ بما يلي:

١- تخصيص موضوع القدر والتقدير بالمزيد من الدراسات والأبحاث العلمية، وذلك لكثرة انتشار وترويج الشبهات حوله في واقعنا المعاصر.

٢- أنَّ لا يعزف الباحثون عن الكتابة في موضوع القدر والتقدير؛ باعتباره من المواضيع الشائكة؛ أو التي لا يحبذ الخوض فيها؛ فهو موقف غير صائب يوهم عدم وضوح الرؤية الإسلامية لموضوع القدر، ونهي بعض السلف إنما هو عن الخوض فيه بغير علم.

٣- يحث الباحث طلاب العلم؛ والدارسين في علوم الشريعة؛ على التصدي لتساؤلات الشباب المعاصر عن مسائل القدر، المنتشرة على وسائل التواصل الاجتماعي بكثرة، والرد عليها بموضوعية، وحجج علمية وعقلية.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (جل منزله وعلا).

ابن كثير إسماعيل بن عمر القرشي أبو الفداء تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، بيروت- ١٤١٢هـ.

ابن جزي، أبو القاسم، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله، الكلبي الغرناطي التسهيل لعلوم التنزيل تحقيق: د. عبد الله الخالدي (ط١، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٤١٦هـ).

ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني، سنن ابن ماجه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر- بيروت.

ابن قيم الجوزية، محمد بن أبي بكر شمس الدين، شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، (نشر: دار المعرفة، بيروت، لبنان. ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م).

ابن الوزير، محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي، من آل الوزير، العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه، وعلّق عليه: شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، (الطبعة: الثالثة، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م).

ابن حجر، أحمد بن علي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩م.

ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي، الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق: كمال يوسف الحوت، نشر: مكتبة الرشد - الرياض، (ط١، ١٤٠٩هـ).

ابن عطية، عبد الحق بن غالب، المحرر الوجيز، دار الكتب العلمية — بيروت، ١٤٢٢هـ.

ابن أبي بكر الرازي، زين الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، مختار الصحاح، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، نشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا. (الطبعة: الخامسة، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م).

ابن حنبل، مسند أحمد بن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني، مؤسسة قرطبة — القاهرة.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

ابن أبي طالب، لمكي القيسي، الهداية الى بلوغ النهاية، طبعة مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

إسماعيل حقي، ابن مصطفى الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء، روح البيان: (بيروت-دار الفكر).
أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الكتاب العربي - بيروت.
الأزهري، محمد بن أحمد بن الهروي، أبي منصور، تهذيب اللغة: (ت: ٣٧٠هـ). تحقيق: محمد عوض مرعب (دار إحياء التراث العربي-بيروت ط١، ٢٠٠١م).
الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، نشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، (١٣٩٤هـ-١٩٧٤م).
البخاري، محمد بن إسماعيل الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله -ﷺ- وسننه وأيامه، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد العتكي، مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، ومجموعة ط١، (بدأت ١٩٨٨م، وانتهت ٢٠٠٩م)
البغوي، محيي السنة أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي الشافعي، معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
البيضاوي، ناصر الدين عبد الله بن عمر، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١ - ١٤١٨هـ.
البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخراساني، أبي بكر، شعب الإيمان، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د. عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، نشر: مكتبة الرشد، بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، (ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م).
الترمذي، محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، سنن الترمذي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ. د. زيد مهارش، أ. د. أمين باشه، تحقيق: عدد من الباحثين، أصل الكتاب: رسائل جامعية (غالبها ماجستير) لعدد من الباحثين، نشر: دار التفسير، جدة - المملكة العربية السعودية. (ط١، ١٤٣٦هـ-٢٠١٥م).
الحاكم، محمد بن عبد الله أبو عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، مذيلة بتعليقات الذهبي، دار الكتب العلمية - بيروت - ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبي الحسن، لباب التأويل في معاني التنزيل: تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين (ط١-بيروت- دار الكتب العلمية ١٤١٥هـ).
الزجاج، أبو إسحاق، معاني القرآن وإعرابه، ، عالم الكتب - بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.
الرازي، فخر الدين محمد بن عمر، تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.
الزمخشري، محمود بن عمرو جار الله، الكشاف، دار الكتاب العربي - بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.
السمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي التميمي الحنفي ثم الشافعي، تفسير القرآن، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، نشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، (ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م).

السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم، بحر العلوم.
الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير الجامع بين في الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة. بيروت- لبنان.
الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر، تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، ٣١٠هـ، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.
الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري، العين، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي (دار ومكتبة الهلال).
القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش (ط٢-القاهرة- دار الكتب المصرية ١٣٨٤هـ).
مسلم بن الحجاج، القشيري النيسابوري، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله -ﷺ-، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، لبنان — بيروت.
مقاتل بن سليمان، أبو الحسن بن بشير الأزدي البلخي، تفسير مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته. بيروت ط ١- ١٤٢٣ هـ-دار إحياء التراث).
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، النكت والعيون (تفسير الماوردي)، دار الكتب العلمية — بيروت.
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، المجتبى من السنن = السنن الصغرى للنسائي، (ت: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، نشر: مكتب المطبوعات الإسلامية - حلب، (ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).
النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة — بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين، تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل): تحقيق: يوسف علي بديوي (ط١ بيروت- دار الكلم الطيب ١٤١٩هـ).
النووي، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، نشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت، (الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ).
الهيثمي، أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد؛ تحقيق: حسام الدين القدسي (القاهرة: مكتبة القدسي، ١٤١٤هـ).
الواحدي، علي بن أحمد بن محمد، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبي القاسم، المعجم الأوسط: تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني (ط. القاهرة - دار الحرمين).
الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب المفردات في غريب القرآن، تحقيق: صفوان عدنان الداودي (ط١، دمشق بيروت، دار القلم، الدار الشامية-١٤١٢هـ).
الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي (ط٢، دار النشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة).